روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الصحوة

128

د. نبيل فاروق

باسل

www.helmelarab.net

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل - الصحوة - 128 - المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

128

الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار
فى سائر الدول العربية والعالم



الصحوة

- ما مصير (أدهم صبرى) ، فى قلب ذلك الوكر السرى ، فى أدغال (كومانا) ؟!
- كيف ظهر (موشى دزرائيلى) مرة أخرى فى الأحداث ، وما علاقته بمنظمة (إكس) ؟!
- ترى من ينتصر فى هذا القتال العنيف ، ومن يبدأ بـ (الصحوة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : القراصنة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الحياة مرّة أخرى..

رفع رئيس الوزراء الإسرائيلى عينيه، فى حركة حادة عصبية، إلى (تيودور زيلمان)، رئيس (الموساد) الإسرائيلى، الذى دلف إلى مكتبه فى (القدس)(*)، بابتسامة هادئة غامضة، لا تشف عن أى شىء مما يدور فى أعماقه، وهو يقول:

- صباح الخير يا سيادة رئيس الوزراء.. لست أدرى أية ظروف طارئة، تلك التى أحضرتك إلى مكتبك، فى هذه الساعة المبكرة، ولا لماذا طلبت استدعائى على وجه السرعة، من (تل أبيب) إلى هنا، ولكننى هرعت إليك على الفور، و...

(*) القدس: مدينة فى وسط (فلسطين)، مقامة فوق تل صخرى، على بعد حوالى خمسة كيلومترات من (يافا)، ويطلق عليها اسم (بيت المقدس)، وهى المدينة المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود، وفيها المسجد الأقصى وكنيسة القبر المقدس، وحائط المبكى، وقد احتلها الإسرائيليون عقب حرب ١٩٦٧م، وما زالت تحت الاحتلال، حتى هذه اللحظة.

قاطعه رئيس الوزراء ، فى صرامة غامضة :

ـ هل تحتجزون طفلاً فى الرابعة من عمره ؟!

ارتفع حاجبا (زيلمان) بدهشة حقيقية ، وحدَّق فى وجه رئيس الوزراء ، وهو يتساءل : كيف بلغه أمر كهذا ، وراح عقله يفرز ويصنِّف كل العاملين معه ، فى محاولة لتحديد الواشى ، ولكن رئيس الوزراء لم يمنحه الفرصة لهذا ، وهو يصيح فى وجهه ، بكل غضبه وعصبيته :

ـ هل تحتجزونه أم لا ؟!

بذل (زيلمان) جهدًا حقيقيًا ليتماسك ، وهو يجيب :

ـ الواقع أن كلمة احتجاز هذه بها مبالغة كبيرة يا سيادة رئيس الوزراء ، والحقيقة أن ...

قاطعه رئيس الوزراء بحدّة أكبر :

ـ لا أريد مناورات ومحاورات .. أريد جوابًا واضحًا صريحًا .. هل تحتجزون طفلاً صغيرًا أم لا ؟!

انعقد حاجبا مدير (الموساد) ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ نعم .. نحتجزه يا سيادة رئيس الوزراء ، ولكن ..

تضاعف غضب رئيس الوزراء الإسرائيلى مرتين على الأقل ، وهو يهتف فى حدّة شديدة :

ـ ولكن ماذا ؟! هل انتهت كل متاعبكم ، ولم يعد أمامكم سوى اختطاف واحتجاز الأطفال ؟! ألم تدركوا أن فعلتكم هذه تخالف القانون ، والعقيدة الإسرائيلية اليهودية نفسها ؟! الأطفال هم دعامة أمننا ، وجنود مستقبلنا ، و ...

قاطعه مدير (الموساد) هذه المرة قائلاً :

ـ أى قانون وأية عقيدة يا سيادة رئيس الوزراء ؟! منذ متى كان القانون والعقائد دافعًا أو عائقًا أمام عملنا ؟! الشىء الوحيد ، الذى ينبغى أن نقيم له وزن ، هو صالح (إسرائيل) ومستقبلها فحسب ، وليس العقائد أو القوانين .

تراجع رئيس الوزراء ، وهو يقول بعصبية أكبر :

ـ ربما يصلح هذا المنطق فى كل وقت .

ثم ارتجفت شفتاه ، على نحو جعل كلماته أقرب إلى البكاء ، وهو يكمل :

ـ ولكن ليس فى فترة الانتخابات هذه .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (زيلمان) ، وهو يقول :

ـ آه .. هكذا ؟!

ثم مال إلى الأمام ، يسأل فى صرامة ، لم يكن من اللائق أن يخاطب بها رئيس الوزراء :

ـ وما شأن الانتخابات بطفل كهذا ؟!

لوَّح رئيس الوزراء بذراعه ، هاتفًا :

ـ أمه شخصية قوية للغاية ، فى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، ولها عشرات المشاريع هنا ، فى (إسرائيل) .. بل لقد أسهمت فى تمويل حملتى الانتخابية السابقة ، وتسهم بعدة ملايين ، فى حملة إعادة الانتخاب الحالية ، ولقد اتصلت بى شخصيًا ، عبر هاتفى الخاص جدًا ، المجاور لفراشى ، والذى لا أعلم كيف حصلت على رقمه السرى ، وأيقظتنى وزوجتى من نوم عميق ؛ لتشكو مما فعلتموه بابنها .

ثم زفر فى عصبية ، مستطردًا :

ـ وأنت لا تعلم كيف تصبح زوجتى ، عندما تستيقظ من نومها ، فى الرابعة والنصف صباحًا !

انعقد حاجبا (زيلمان) بشدَة ، وهو يقول :

ـ اتصلت بك فى الرابعة والنصف صباحًا ؟! (سونيا) فعلت هذا .

حدَّق رئيس الوزراء فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف فى عصبية :

ـ (سونيا) ؟! (سونيا) من ؟!

هزَّ (زيلمان) كتفيه ، وقال مشيرًا بسبَّابته :

ـ (سونيا) يا سيادة رئيس الوزراء .. (سونيا جراهام) .. زميلتنا السابقة فى (الموساد) ، والتى صارت اليوم واحدة من عمالقة الاقتصاد ، فى (الولايات المتحدة الأمريكية) والعالم ، و ...

قاطعه رئيس الوزراء فى حدة :

ـ لست أعرف أحدًا باسم (سونيا جراهام) هذا !! السيِّدة التى أتحدَّث عنها هى (مادلين أوهارا) ..

سيِّدة الأعمال الأمريكية الشهيرة ، والتى هدَّدت بقطع وإيقاف تمويلها لحملة إعادة انتخابى فورًا ، ما لم يفرج جهازكم السخيف عن ابنها ، ويعيده إلى مدرسته ، التى قرَّرت نقله منها إلى مدرسة أخرى تمتلكها ، فى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، كما هدَّدت بشن حملة صحفية عنيفة ، على سياستى المتشدِّدة تجاه العرب ، تكشف الغطاء خلالها عن الكثير من الأسرار ، التى ما إن سمعت واحدًا منها ، حتى كدت أصاب بأزمة قلبية قاتلة .

زفر (زيلمان) فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ربما كانت تحمل اسم (مادلين أوهارا) ، أو حتى (سكارليت أوهارا)(*).. هذا لا يعنى أحدًا ، فالحقيقة أنها ، أيًّا كان ما تحمله من أسماء ، فهى نفسها زميلتنا السابقة (سونيا جراهام) ، وابنها هذا ، الذى تشن من أجله كل ما تشنه ، أنجبته من رجل مخابرات مصرى .

(*) (سكارليت أوهارا) : هى بطلة رواية (ذهب مع الريح) .

اتسعت عينا رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وهو يطلق شهقة قوية ، هاتفًا :

ـ رجل مخابرات مصرى ؟!

لوَّح (زيلمان) بسبَّابته ، فى وجه رئيس الوزراء ، متابعًا فى صرامة :

ـ ليس رجل مخابرات عادى يا سيادة رئيس الوزراء .. إنه ذلك المصرى ، الذى انتحل شخصيتك منذ فترة قصيرة ، فى قلب (تل أبيب)(*).

امتقع وجه رئيس الوزراء ، وهو يهتف :

ـ هو نفسه ؟!

أجابه (زيلمان) ، وهو يومئ برأسه فى حزم :

ـ هو نفسه يا سيادة رئيس الوزراء ..

شحب وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى فى شدَّة ، وتراجع بحركة أقرب إلى الذعر ، ليجلس خلف مكتبه ، وكأنما يحتمى به من رجل المخابرات المصرى ، وهو يتمتم ، بصوت مبحوح مختنق :

(*) راجع قصة (المستحيل) .. المغامرة رقم ١٢٣

ـ ولكن هذا مستحيل ! لا يمكن أن تتزوَّج (مادلين) رجل مخابرات مصريًا ! إنها يهودية مخلصة ، و ...

قاطعه (زيلمان) بأسلوب فظ ، هذه المرة أيضًا :

ـ (سونيا) تخلص لنفسها فحسب .

حدَّق رئيس الوزراء في وجهه بضع لحظات في ذعر ، قبل أن يقول في عصبية ، وهو يلوِّح بذراعيه كلهما في حدة :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

مال (تيودور زيلمان) نحوه ، قائلاً في حزم :

ـ ذلك الطفل ، الذي نحتجزه لدينا ، هو السبيل الوحيد ، للإيقاع برجل المخابرات المصري الأسطوري هذا .. هو نقطة الضعف الوحيدة ، التي يمكن بحسن استغلالها ، أن نضعه في قبضتنا ، ونسحقه سحقًا ، جزاء كل ما فعله بنا ، طوال سنوات وسنوات .. ذلك الطفل هو وسيلتنا الوحيدة ، لتحقيق انتصار نحلم به منذ فترة طويلة ، من قبل حتى أن تبدأ حياتك السياسية ، يا سيادة رئيس الوزراء .

انتفض رئيس الوزراء الإسرائيلي في عنف ، وحدَّق في وجهه لحظة ، قبل أن يهتف في عصبية :

ـ وهل ينبغي أن يكون السبب في إنهائها أيضًا .

انعقد حاجبا مدير (الموساد) ، وهو يتراجع ، قائلاً في صرامة :

ـ إننا نتحدَّث عن مستقبل (إسرائيل) .

صاح به رئيس الوزراء في حدة :

ـ وماذا عن مستقبلي أنا ؟!

قال (زيلمان) في حدة أيضًا :

ـ مستقبلك هو مستقبل (إسرائيل) .

ضرب رئيس الوزراء سطح مكتبه بقبضته في عنف ، صائحًا :

ـ لهذا ينبغي أن أبقى .. من أجل مستقبل (إسرائيل) .

التقى حاجبا (زيلمان) مرة أخرى ، وهو يتساءل :

ـ ما الذي يعنيه هذا بالضبط ، يا سيادة رئيس الوزراء ؟!

أجابه رئيس الوزراء ، وهو يشيح بوجهه عنه فى عصبية :

- يعنى أن الحياة لم تنتـه بعد .. ستجدون وسيلة أخرى حتمًا فى المستقبل ؛ للإيقاع برجل المخابرات المصرى هـذا ، على عكس فتـرة إعادة الانتخابات ، التى يستحيل إيجاد فرصة أخرى لها .

قال (زيلمان) فى عصبية :

- لم أفهم .

أجابه رئيس الوزراء فى صرامة أشد :

- بل تفهم يا مدير (الموساد) ، وإلا ما تبوأت منصبك هذا .

وأعاد بصره إليه ، مستطردًا بلهجة آمرة حازمة ، تفيض بمحيط من الصرامة :

- فليتم الإفراج عن ذلك الطفل فورًا .

هتف (زيلمان) معترضًا :

- ولكن يا سـ ...

قاطعه رئيس الوزراء بغضب هادر :

- لن يقال أبدًا إنهم يعتقلون الأطفال ، فى عهد حكومتى .

قال (زيلمان) فى غضب :

- كنت أتصـورًا أنه مـن المسـموح لنـا أن نذبحهم بلا رحمة أو شفقة .

صاح رئيس الوزراء :

- هذا ينطبق على أطفال العرب ، وليس أطفالنا .

ثم تراجع ، مستطردًا فى عصبية :

- وعلى نحو غير رسمى أيضًا .

حاول (زيلمـان) أن يهـدئ من أعصابه الثائرة ، وهو يعود للميل نحوه ، قائلاً :

- سيادة رئيس الوزراء .. ذلك الطفل يمثل لنا ..

قاطعه رئيس الوزراء فى صرامـة غاضبـة ، بلغت حدها الأقصى :

- الإفراج عنه فورًا يا (زيلمان) .

ثـم تراجـع فـى مقعـده ، ولـوح بذراعـه كلهـا ، مستطردًا :

- وإلا فسترى الحكومة أنه قد حان الوقت ، لإجراء بعض التغييرات الأساسية ، فى قيادات (الموساد) .. على الأقل لضمان ولاء وطاعة القيادات القادمة .

التقط (زيلمان) الرسالة ، وامتلأت نفسه بغضب بلا حدود ، وهو يعتدل فى وقفة عسكرية ، قائلاً :

- فهمت يا سيادة رئيس الوزراء .

لوّح رئيس الوزراء الإسرائيلى بذراعه ، قائلاً فى عصبية أكثر :

- هيا .. نفذ الأمر على الفور يا مدير (الموساد) .. لا تجعلنى أتلقى مكالمة غاضبة أخرى ، من مسز (أوهارا) ..

غمغم (زيلمان) :

- بالطبع يا سيادة رئيس الوزراء .. بالطبع ..

وغادر حجرة رئيس الوزراء ، وهو يتظاهر بالقوة والتماسك ، ولكنه لم يكد يبلغ استراحة كبار الزوار ، ويجد نفسه وحيدًا داخلها ، حتى هتف فى حنق ساخط :

- يا للسخافة ؟

وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يستعيد الأحداث ، التى وصلت به إلى هذه المواجهة الحادة السخيفة ..

لقد بدأ الأمر بعملية لإسقاط القمر الصناعى المصرى (نايل سات)[*] .

عملية أحبطها وأفسدها تدخُّل (أدهم صبرى) ، ومن خلفه المخابرات العامة المصرية كلها[**] ..

فى تلك الفترة ، وبعد أن توصَّل (الموساد) إلى أن ابن (أدهم) و (سونيا) ، هو أحد طلاب كلية (بن جوريون) الخاصة للناشئة ، فى قلب (إسرائيل) ، قرَّر هو أن يضع ذلك الابن فى قبضته ..

وبهذا وحده ، يضمن السيطرة على الأب والأم ..

على (أدهم صبرى) ..

و (سونيا جراهام) ..

بضربة واحدة ..

(*) راجع قصة (عملية النيل) .. المغامرة رقم ١٢٥

(**) راجع قصة (ساعة الصفر) .. المغامرة رقم ١٢٦

ولكن (أدهم) اختفى تمامًا ، بعد أن أحبط عملية (النيل) ..

اختفى فى قلب أدغال (كوماتا) ..

وهبَّ الجميع للبحث عنه ..

المصريون ..

الأمريكيون ..

وحتى الإسرائيليون ..

كل يبحث عنه لهدف خاص ..

ومختلف ..

حتى ظهرت تلك المنظمة الجديدة على الساحة ..

منظمة (إكس) ، للجاسوسية الخاصة ..

وجاء ظهورها عنيفًا .

قويًا ..

مخيفًا ..

جاء بسرقة غوَّاصة نووية روسية ..

نعم .. إنك لم تخطئ قراءة العبارة ..

لقد سرقوا غوَّاصة نووية روسية ، ذات طوربيدين ، وصاروخ بعيد المدى ، له رأس نووى محدود ..

ولقد استيقظ (أدهم) ، ليجد نفسه داخل وكر تحت الأرض ، يدار كل شىء فيه بوسائل تكنولوجية محضة ، ومحاط بنطاق أمنى يستحيل اختراقه .. تقريبًا ..

وفى الوقت الذى وصلت فيه (منى) و (نادية) و (جيهان) مع الزنجى (بترو)(*) إلى (كراكاس) ؛ للبحث عن (أدهم) ، والسعى لاستعادته ، كان هو يواجه فريقًا من أقوى رجال الكوماندوز ، داخل سجنه المحدود ، فى أعماق الأدغال ..

فريق بقيادة الجنرال (جيم بولارد) .. سفاح الصرب السابق ..

وكل هذا لم يكن يعلمه مدير (الموساد) ، حتى لحظتنا هذه ..

كل ما كان يسعى إليه ، هو معرفة ماذا حدث لرجل المخابرات المصرى ؟!

(*) راجع قصة (مهرجان الموت) .. المغامرة رقم (١١٦)

ماذا أصاب (أدهم صبرى) ؟!

وأين اختفى رجل المستحيل ؟!

و ...

ارتفع رنين هاتفه الخلوى بغتة ، قبل أن تتواصل أفكاره ، فالتقطه من جيبه ، ووضعه على أذنيه بحركة سريعة ، قائلاً :

- (زيلمان) .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت مساعده (بيكويك) ، وهو يسأل فى اهتمام :

- إنه أنا يا سيِّدى .. أردت فقط أن أطمئن على ما حدث ، فى لقائك مع السيِّد رئيس الوزراء ..

خفض (زيلمان) صوته ، وهو يقول فى حدة :

- ذلك الرجل منعدم الخبرة تمامًا ، ويفكِّر بأنانية سخيفة .

سأله (بيكويك) فى قلق :

- هل طلب منا أن نطلق سراح الطفل ؟!

أجابه (زيلمان) فى صرامة ، لا تخلو من العصبية :

- لسنا مضطرين لطاعة أوامره .

سأله (بيكويك) فى حيرة قلقة :

- ماذا تعنى يا أدون (زيلمان) ؟!

أجابه (زيلمان) فى صرامة :

- انقل الطفل إلى المخبأ (زد) ..

هتف (بيكويك) فى دهشة :

- وماذا عن .....

قاطعه رئيسه ، فى صرامة أشد :

- نفذ الأوامر دون مناقشة .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيب (بيكويك) فى حزم :

- بالطبع يا أدون (زيلمان) .. بالطبع .

أنهى مدير (الموساد) المحادثة ، وأعاد هاتفه إلى جيبه ، قائلاً فى صرامة :

- فلنر أيهما أكثر قوة وأهمية يا سيادة رئيس الوزراء ؟! أنت أم (إسرائيل) ؟!

نطقها ، واندفع يغادر المكان كله ، دون أن يدرى أنه ، فى هذه اللحظة بالذات ، كانت الأمور تسير على نحو لم يتوقعه أحد قط ، فى (كراكاس) ..

ففى تلك اللحظة بالتحديد ، كانت (منى) و (جيهان) و (نادية) تواجهن خصمًا بالغ الخطورة ، فى حجرتهن بفندق (هيلتون كراكاس)[*] ..

خصم لا يفترض وجوده أبدًا ، فى ذلك المكان ..

ولا حتى فى الحياة الدنيا كلها ..

خصم لقى مصرعه ، على نحو لا يقبل الشك ، أمام عينى (منى) ، منذ أعوام قليلة للغاية ..

خصم يُدعى (موشى) ..

(موشى حاييم دزرائيلى)[**] ..

★ ★ ★

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (نقطة الضعف) ... المغامرة رقم (١٢٧) .

(★★) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

لثوان طوال ، بلغت الدقيقة ، أو كادت ، ران على حجرة ذلك الفندق ، فى العاصمة الفنزويلية صمت مطبق ، ونساء المخابرات المصرية الثلاث يحدقن فى وجه ذلك الخصم ، الذى عاد إلى الحياة ، ليصوِّب إليهن مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، ومن خلفه وجهه الصارم البارد ..

ثوان طالت ، قبل أن تغمغم (منى) ، فى عصبية واضحة :

ـ أنت لست (موشى) .

سألها الإسرائيلى ، بأسلوبه الصارم البارد الجاف :

ـ ولِمَ لا ؟!

أشارت إليه ، قائلة :

ـ أنت تشبهه كثيرًا ، ولكنك لست هو .. لقد رأيت بعينى (موشى حاييم دزرائيلى) ، وهو يلقى مصرعه ، وعلى نحو لا يمكن أن ينجو منه بشر قط ، أو ...

قاطعها فى صرامة تحمل رنة غضب :

ـ اصمتى .

كرَّرت (منى) فى توتر ، اكتسب بعض الحزم :

- من المستحيل أن تكون (موشى) .

أجابها فى صرامة :

- بالطبع لست (موشى) .

ثم أضاف بلهجة مخيفة :

- ولكننى (دزرائيلى) أيضًا .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- كلاً .. (موشى) لم يكن له أخ توءم .

لوَّح بيده اليسرى ، قائلاً :

- لست توءمه أيضًا .

والتقى حاجباه بشدَّة ، وهو يضيف :

- أنا شقيقه الأصغر (يارون) .. (يارون حاييم دزرائيلى) .. لست أشبهه إلى هذا الحد فى الحقيقة ، ولكن عملية تجميل بسيطة ، جعلتنى نسخة طبق الأصل منه .

قالت (نادية) ، فى شىء من السخرية :

- عملية تجميل ؟! وما الحاجة إلى أن تصبح نسخة طبق الأصل من وغد مثله .. هل تصوَّرت نفسك أحد أبطال فيلم هندى سخيف ، من أفلام الدرجة الثالثة ، أم ...

انطلقت رصاصة من مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، قبل أن تتمَّ عبارتها ، وارتطمت بصدرها ، فانتزعتها من موضعها ، وألقت بها مترين إلى الخلف ، لترتطم بأحد المقاعد ، وتسقط معه فى عنف ..

وفى غضب هادر ، هتفت (جيهان) :

- أيها الـ ...

أدار فوهة مسدسه إليها فى سرعة ، فقفزت (منى) تمسك كتفها ، وهى تقول فى توتر شديد :

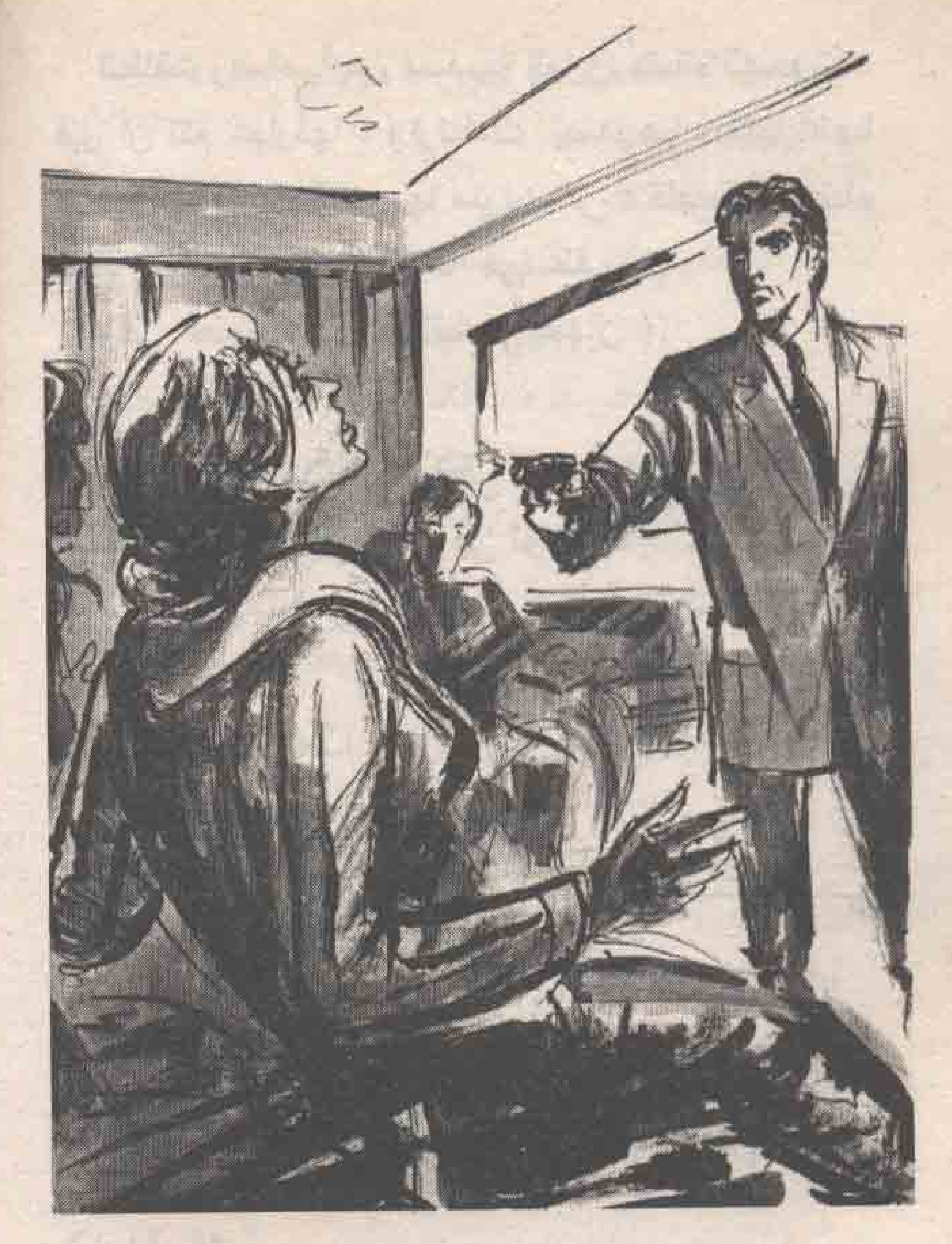
- رويدك يا (جيهان) .. لا تمنحيه المبرَّر لنسف رأسك .

صاحت (جيهان) :

- وهل يحتاج وغد مثله إلى مبرِّرات لأمر كهذا ؟!

رمقت (منى) الإسرائيلى بنظرة مقت ، وهى تجيب :

- كلاً بالتأكيد .. لو أنه يشبه أخاه فى مضمونه ، كما يشبهه فى هيئته ، فلن يتورَّع عن سحق رأس رضيع ، دون أن يطرف له جفن ، لمجرَّد أن بكاءه لا يروق له .



انطلقت رصاصة من مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، قبل أن تتمّ عبارتها ، وارتطمت بصدرها ، فانتزعتها من موضعها ..

أجابها (يارون) ببروده الصارم :

- بالضبط أيتها المصرية .. لن أتردَّد لحظة واحدة فى نسف رءوسكن جميعًا ، لمجرَّد أن يسعدنى هذا ، ولكننى ، على الرغم مما رأيتموه ، لم أقتل زميلتكم المتحذلقة هذه ..

هتفت (جيهان) غاضبة :

- لم تقتلها ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى سمعت من خلفها آهة ألم ، أعقبها صوت (نادية) ، وهى تقول :

- ربّاه ! هذا يؤلم بحق .

التفتت مع (منى) إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ووقع بصرهما على (نادية) ، وهى تنهض جالسة ، مستطردة فى حنق :

- إذن فقد كنت تعلم ؟!

هزّ (يارون) كتفيه ، مجيبًا :

- بعد عشر سنوات من المواجهة المسلحة ، من الطبيعى أن أنتبه إلى السترات الواقية من الرصاصات على الفور ، حتى ولو كانت مصنوعة من الكيفلار

الخفيف ، الذى لا تكشفه أجهزة وبوابات الأمن ، فى كل مطارات العالم .

قالتها ، ونهضت فى نشاط ، وهى تنفض الغبار عن ثوبها ، فى حين هتفت (جيهان) فى دهشة مستنكرة :

ـ كنت تعلم ؟!

أجاب فى خشونة :

ـ الرصاصة كانت مجرَّد إنذار .. فى المرة التالية سأطلق على الرءوس مباشرة .

سألته (منى) :

ـ ماذا تريد منا يا (دزرائيلى) ؟!

أجاب فى سرعة وصرامة :

ـ كل ما لديكم عن (أدهم صبرى) ، أو الجهة المسئولة عن اختفائه .

سألته (جيهان) مستنكرة :

ـ هل تبحث عن (أدهم) أيضًا ؟!

أجاب بلهجة حملت كل مقت الدنيا :

ـ إننى أبحث عنه ، منذ عدَّة سنوات .

غمغمت (منى) :

ـ للانتقام ؟!

أدار عينيه إليها ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ ألديك سبب أفضل ؟!

أشارت (نادية) بيدها ، قائلة بلهجتها الساخرة :

ـ لو أنك أيضًا تبحث عن رجلنا ، فانضمَّ إلى القائمة .. الأمريكيون أيضًا يسعون خلفه ، كما لو أن كيانهم كله يتوقَّف على وجوده .

أجاب فى صرامة باردة :

ـ يمكنك حذف الأمريكيين من القائمة .

تبادلت الثلاث نظرة متوترة ، قبل أن تسأله (منى) :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب ببرود مخيف :

ـ لقد التقيت (هندرسون) وزميله ، وأقنعتهما بالانسحاب .

ثم لوَّح بمسدسه ، مستطردًا بشبح ابتسامة شرسة :

ـ ولم يكن الأمر عسيرًا .

اتسعت عينا (منى) ، وانعقد حاجبا (جيهان) ، فى حين قالت (نادية) فى غضب :

ـ قتلتهما ؟! قتلت الأمريكيين ؟! عجبًا ! كيف أتصورَّ أن المخابرات الأمريكية هى أكبر حليف لكم ؟!

قال فى برود :

ـ ليس عندما تتعارض مصالحنا .

سألته (منى) فى توتر :

ـ وفيم تتعارض مصالحكما هذه المرّة ؟!

انعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يجيب :

ـ (أدهم صبرى) لى وحدى .

ثم عاد يصوِّب مسدسه إليهن ، مستطردًا :

ـ والآن ، ودون أن نضيع المزيد من الوقت فى سخافات لا طائل منها .. هل يمكنكنّ إخبارى بكل ما تعلمن ، حول قضية اختفاء (أدهم صبرى) ؟!

قالت (منى) فى صرامة :

ـ لم نحصل على أية معلومات بعد .

وأضافت (نادية) ، فى صرامة أكبر :

ـ وعندما نحصل عليها ، لن نمنحك حرفًا واحدًا منها .

ظلَّ وجهه جامدًا باردًا لحظة ، قبل أن يجذب مشط مسدسه ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، لست أجد ما يمنعنى من شطب أسمائكن من لائحة البحث أيضًا .

قالها ، وضغط زناد مسدسه ، المزوَّد بكاتم للصوت ..

وانطلقت الرصاصات القاتلة ..

فى صمت .

* * *



٢ - خطوة بخطوة ..

أوقف المحامى (مانتراك) سيارته الحمراء الفاخرة ، على مسافة ثلاثين مترًا من الطائرة الخاصة ، التى استأجرها سرًا ، وتم تزويدها بكل المعدات الطبية اللازمة ، واتجه إلى الرجال ، الذين يواصلون العمل فيها بمنتهى الهمة والنشاط ، وسأل رئيسهم بلهجة صارمة متعالية :

- ألم ينته العمل بعد ؟!

نهض الرجل ، وجفف العرق الغزير ، المنهمر على جبينه ، وهو يجيب :

- لقد انتهى تقريبًا يا سنيور (مانتراك) .. المعدات الطبية كلها وصلت ، وتم تركيبها على الوجه الأمثل ، ويتم الآن تزويد الطائرة بالوقود اللازم ، وما إن يصل الطيَّار ومساعده ، مع الفريق الطبى الخاص ، حتى يمكن الإقلاع بها على الفور .

ثم مال نحوه ، يسأل فى اهتمام :

- ولكن أين المريض ، الذى سيتم نقله فيها ؟! ولماذا تحيط الأمر بكل هذه السرية يا سنيور (مانتراك) ؟!

قال المحامى فى سخرية عصبية :

- كل هذه السرية ؟! إنكم دستة من الرجال ، وهناك فريق طبى ، وطيَّار ومساعده .. هل يمكن أن تتوافر السرية ، مع قافلة كاملة كهذه ؟!

سأله الرجل فى حيرة :

- لماذا نعمل سرًا ، وبعد منتصف الليل إذن ؟!

زفر (مانتراك) ، مجيبًا فى حنق :

- لا تسألنى .

قالها ، وترك الرجل ، وراح يسير بمحاذاة جسم الطائرة ، ويراقب العمل الدائر فيها ، على قدم وساق ، قبل أن يغمغم فى حنق :

- سؤالك فى محله يا رجل .. أين المريض ، الذى سيتمَ نقله فيها ؟!

عضّ شفتيه السفلى فى غيظ ، وهو يعود إلى سيارته ، فلحق به رئيس العمال ، وهو يقول :

ـ سنيور (مانتراك) .. هناك بعض الأمور المالية ، التى ...

قاطعه المحامى فى خشونة ، وهو يستقل سيارته :

ـ فيما بعد يا رجل .. فيما بعد .

وانطلق بالسيارة ، قبل أن يمنحه فرصة إضافة حرف واحد ، وهو يغمغم لنفسه فى حنق :

ـ من الواضح أنها لا تحرص جديًّا على السرية ، على الرغم من المبلغ الهائل ، الذى أنفقته فى هذا الشأن ! والسؤال هو لماذا ؟! لماذا تصرف امرأة مثلها ما يزيد على المليون دولار ، دون طائل منطقى أو عملى ؟! لماذا ؟! لماذا ؟!

كان البحث عن جواب مرض يرهقه ، ويشعل فى رأسه بركانًا من الجنون ..

لقد اعتاد دومًا أن يفهم ..

ويستوعب ..

اعتاد أن يكون العقل المدبِّر ، وصاحب الكلمة والمشورة ..

أما اليوم ، فقد صار مجرَّد منفذ ، لأمور لا يمكنه استيعاب خطوة منطقية واحدة منها .

أمور تكاد تصيبه بالجنون ..

لماذا تفعل (كلارا) كل هذا ؟!

ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟!

لماذا تستفز المصريين ، بكل ما تفعله ، على نحو من السرية ، يقصد به العلانية ؟!

لماذا توحى إليهم بأنها المسئولة عن اختفاء رجلهم ، لو أنها ليست كذلك ؟!

لماذا ؟!

إنه يتعامل معها منذ فترة ليست بالقصيرة ، ويدرك جيِّدًا أنها ليست بالحمقاء أو المستهترة ، كما يوحى عملها ؟!

فما هدفها من كل هذا إذن ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتجه نحو مقرها مباشرة ، فى أطراف (كراكاس) ، وغمغم محدثًا نفسه :

ـ تلك اللعينة تخدعنى حتمًا .. إنها لن تنفق كل هذه الأموال لتخدع المصريين فحسب .. إنها تعلم أين رجلهم .. أقسم إنها تعلم .. بل هى المسئولة عن اختفائه أيضًا .. فليقطع ذراعى لو لم تكن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، التقطت عيناه من بعيد أضواء هيلوكوبتر صغيرة ، ترتفع من ناحية فيللا (كلارا) الخاصة ، فضغط فرامل سيارته بحركة غريزية ، هاتفًا فى غيظ محنق :

ـ تلك الأفعى !

وبحثت يده فى سرعة عن منظاره المقرّب الخاص ، المعدّ للرؤية الليلية ، ووضعه على عينيه هاتفًا :

ـ أراهن على أنها هى .. ستنطلق على الفور إلى حيث تخفى ذلك المصرى ..

التقط منظاره الخاص حركة الهليوكوبتر ، وهى

تنطلق ، فى اتجاه الشرق ، إلا أن بعدها الكبير عنه منعه من تحديد هوية ركابها ، فغمغم فى سخط :

ـ إنها هى .

ثم عاد ينطلق بالسيارة ، حتى بلغ الفيلا ، فأخرج جهاز الاتصال اللاسلكى من جيبه ، وهو يقول فى توتر ، لم يستطع حجبه :

ـ أنا هنا يا أميرتى .. كلمة السر الليلة هى (بيتهوفن)(*).

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت

(*) (لودفيج فان بيتهوفن) : (١٧٧٠ ــ ١٨٣٧م) : موسيقار هولندى الأصل ، وُلِد فى مدينة (بون) ، ويلقبونه بالأستاذ ، انكبّ على دراسة الموسيقى ، منذ الخامسة من عمره ، ولم يكد يبلغ الرابعة عشرة ، حتى كان مايسترو أمير (بولونيا) يسند إليه العمل عند غيابه .. رحل إلى (فيينا) عام ١٧٩٢م ، ليقيم فيها إلى الأبد ، وأصيب بالصمم فى مرحلة متأخرة من عمره.. له تسع سيمفونيات شهيرة ، وكثير من مقطوعات السوناتا والكنشرتو ، وأوبرا واحدة .

(رونالدو) ، الحارس الخاص للسيِّدة (كلارا) ، وهو يقول ، بصوته الأجش الجاف :

ـ كلمة السرّ تغيَّرت منذ دقائق يا سنيور (مانتراك) .

سأله (مانتراك) فى سخرية ، حاول أن يخفى بها عصبيته :

ـ وماذا أصبحت ؟!

أجابه (رونالدو) :

ـ لا ينبغى أن أخبرك ، ما دمت تجهلها .

هتف (مانتراك) فى حدة :

ـ ولكنك تعرف أننى (مانتراك) .. (جوزيف مانتراك) .. المحامى الخاص للسيِّدة (كلارا) .. أليس كذلك ؟!

أجابه الشاب ، بنفس الجفاف الخشن :

ـ بالتأكيد .

سأله (مانتراك) ، فى عصبية :

ـ لماذا لا تسمح لى بالدخول ، ومقابلة السيِّدة إذن ؟!

أجابه ، قبل حتى أن يتمّ عبارته :

ـ إنها أوامرها .

صاح به المحامى فى غضب :

هل ترفض مقابلتى ؟!

أجابه (رونالدو) ، بلهجة حملت ، إلى جوار خشونته وغلظته ، رنة ضجر واضحة :

ـ بل أمرت بألا يدخل مخلوق إلى المكان ، دون أن يعرف كلمة السر ، مهما بدا معروفًا أو مألوفًا .. حتى ولو كانت هى نفسها .

قال (مانتراك) فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الشاب فى اقتضاب جاف :

ـ إحكام الأمن .

كانت عبارة تكفى لشرح الأمر تمامًا ، حتى إن المحامى قد استغرق بضع لحظات لابتلاعها ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ دعنى أتحدَّث إلى السيِّدة .

أجابه الشاب ، وقد تضاعف ضجره :

- إنها نائمة .

قال (مانتراك) فى حدة :

- أيقظها .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (رونالدو) فى صرامة :

- وداعًا يا سنيور (مانتراك) .

ثم أنهى الاتصال بغتة ، فاحتقن وجه المحامى بشدة ، وهو يهتف :

- الوغد !

وانتزع هاتفه المحمول من جيبه ، وطلب رقم الهاتف الخاص للسيدة (كلارا) مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة ، كان الكمبيوتر يبلغه بأن هذا الرقم خارج نطاق الاتصال ..

وأخيرًا أعاد الهاتف إلى جيبه ، وهو يقول فى حزم :

- فليكن .. أنت أردت هذا يا (كلارا) .

وبمنتهى الحزم والعزم ، عاد يدير محرك سيارته ، ويستدير بها ، منطلقًا نحو طريق القيادة السريعة ، وقد اتخذ قراره بدخول اللعبة ..

ولحسابه الخاص ..

جدًا ..

★ ★ ★

كل شىء يدار إليكترونيًا بالفعل ..

كل شىء ..

الطعام ..

والشراب ..

والإضاءة ..

وحتى كاميرات المراقبة ..

الجنرال (بولارد) السفاح نفسه ، يبدو وكأنه يدار إليكترونيًا ..

فكل ساعة ، بالضبط ، يسمع وقع قدميه ، خلف باب الحجرة ..

صحيح أن الجميع يرتدون تلك الأحذية الثقيلة ..

ولكن الجنرال مصاب برصاصة قديمة فى عظمة ساقه ، تجعل خطواته متميِّزة للغاية ..

وأذنا (أدهم) الخبيرتان يمكنهما تمييز وقع قدميه عن غيرهما ..

وعلى الرغم من أنه لا توجد ساعة واحدة فى المكان ، إلا أن (أدهم) أمكنه حساب الوقت بمنتهى الدقة ..

لقد تدرَّب على هذا كثيرًا وطويلاً ، منذ كان فى السابعة من عمره(*) ..

والآن يتقنه كل الإتقان ..

وخاصة عندما يتفرَّغ لتقدير ما حوله ، كما يحدث داخل تلك الحجرة الصغيرة المغلقة ..

لقد درس الموقف تمامًا ، خلال الساعات القليلة الماضية ..

ودون أن يشعر مراقبوه ، الذين يتابعون كاميرات

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم ٦١

المراقبة الأربع ، التى ترصد حركاته وتحصى أنفاسه طوال الوقت ، بلا انقطاع ..

ولكن العجيب أن الأجهزة الطبية لم يتم رفعها عن الحجرة ، وكأنما يتوقَّع السيِّد (X) احتياجه إليها مرة أخرى ..

لسبب ما ..

ولثوان ، تركَّز بصره على جهاز الكمبيوتر النقَّال ، الموضوع على المكتب الصغير ، المجاور لفراشه ، قبل أن ينهض ، ويضغط أزراره ، وهو يقول ، فى شىء من السخرية :

- تُرى هل أجدك مستيقظًا الآن يا عزيزى (X) ؟!

مضت فترة طويلة من السكون ، قبل أن يأتيه الجواب على الشاشة :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط يا سيِّد (أدهم) ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول بصوت واضح مسموع ، تعمَّد أن تنقله أجهزة المراقبة إلى مراقبيه :

- إذن فأنت مستيقظ بالفعل ! تُرى هل يروق لك السهر ، أم أن التوقيت لديك يختلف ؟!

مضت لحظات أخرى من السكون ، قبل أن يأتيه الجواب على الشاشة :

ـ محاولة سخيفة خبيثة يا سيِّد (أدهم) ، لمعرفة المكان الذى أتحدَّث منه إليك .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول فى سخرية :

ـ خطأ يا عزيزى (X) .. لقد كانت محاولة للتأكُّد من أن صوتى وصورتى ينتقلان إليك على الفور ، دون وسطاء .

قالها ، ونهض عن المكتب الصغير ، وهو يطلق ضحكة عالية ساخرة مستفزة ، ويتجه نحو فراشه ، و ...

وفجأة ، اختلَّ توازنه ..

واندفع جسده إلى الأمام ..

وارتطم بأحد الأجهزة الإليكترونية ..

وسقط الاثنان معًا فى عنف ..

ولكن (أدهم) استعاد اتزانه فى سرعة ، واعتدل واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! يبدو أنه ليس من السهل أن يستعيد المرء نشاطه كاملاً .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى التقطت أذناه وقع أقدام ثقيلة ، تقترب من حجرته فى سرعة ، ميَّز من بينها وقع قدمى الجنرال (بولارد) ؛ الذى اقتحم المكان فى عنف ، محاطًا برجاله الخمسة الأقوياء المتحفزين ، وفوهات مدافعهم الآلية ، المصوَّبة إليه ، وقائدهم يقول فى صرامة :

ـ ما الذى تحاول فعله بالضبط يا سيِّد (أدهم) ؟!

رفع (أدهم) حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! هل تصلك الأوامر بهذه السرعة ؟!

تجاهل (بولارد) سؤاله ، وهو يقول فى صرامة ، مشيرًا إلى الجهاز الطبى الإليكترونى ، الذى تحطَّم أرضًا :

- لماذا فعلت هذا ؟!

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يجيب :

- يطلقون عليه اسم اختلال توازن .

قال الجنرال فى صرامة :

- لا تحاول السخرية منى ، أو العبث معى يا سيِّد (أدهم) .. أنت تدرك جيِّدًا أننى لا أحتمل هذا أو ذاك .. وأن ردود أفعالى تكون دائمًا حادة عنيفة ، لا تحمل أدنى درجة من درجات التأنِّى أو الصبر ، وإطلاق النار أسرع وأيسر عندى من بذل الجهد ، فى محاولة فهم تصرُّف سخيف ، أو تحايل غير مباشر .

هزَّ (أدهم) رأسه ، قائلاً فى برود :

- الكل يعلم عنك هذا يا سفاح الصرب .

انعقد حاجبا الجنرال فى شدَّة ، وهو يقول لرجاله فى غضب صارم :

- فتشوه .

اندفع اثنان منهم يفتشون (أدهم) ، فى قسوة وغلظة ، فى حين بدا هو هادئًا ساخرًا ، وهو يقول :

- ولماذا يا جنرال ؟! إنكم تراقبوننى طوال الوقت .

أجابه الجنرال فى خشونة :

- للسبب نفسه سنقوم بتفتيشك جيِّدًا يا سيِّد (أدهم) ، فالسيِّد (X) يؤمن بأن شخصًا مثلك ، لا يمكن اعتبار أية عثرة منه مجرَّد خطأ غير مقصود .. إنها فى رأيه محاولة للاحتيال ، على نحو أو آخر ، لذا وطبقًا للتعليمات السابقة ، ستتم كهربة أرضية الحجرة ، وسيمنع عنك الطعام والشراب ، لمدة يومين كاملين .

قال (أدهم) ساخرًا :

- يا إلهى ! إننى أرتجف رعبًا .

عضَّ الجنرال شفتيه فى غضب ، ولم ينبس ببنت شفة ، حتى انتهى رجاله من تفتيش (أدهم) ، فقال فى صرامة غاضبة :

- حذار يا سيِّد (أدهم) ، فلو كان الأمر بيدى ، لنسفتك نسفًا ، دون ذرة واحدة من الشفقة .. هل تفهم ؟!

أجابه (أدهم) فى برود :

- سأبذل قصارى جهدى .

رمقه الجنرال بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يستدير ليغادر المكان فى غضب ، فاستوقفه (أدهم) ، قائلاً :

- بالمناسبة يا جنرال .. وقع أقدامكم ثقيل للغاية .. لو أننى منكم ، لارتديت أحذية من المطاط .

عضّ الجنرال شفتيه فى غيظ ، واندفع يغادر الحجرة فى حنق ، وخلفه تراجع رجاله بحذرهم وتحفزهم الزائدين ، حتى أغلقوا الباب خلفهم ، فهزّ (أدهم) كتفيه ، وقال بابتسامة ساخرة :

- لا تقل : إننى لم أنصحك .

قالها ، ورقد على فراشه ، وأسبل جفنيه فى تكاسل مصطنع ، وأصابعه تتحسّس فى حذر سلكًا طويلاً ، يختفى فى كمه ، فى حين حملت شفتاه ابتسامة كبيرة غامضة ..

للغاية ..

* * *

بدا وزير الدفاع الأمريكى شديد التوتر ، إلى حد لم يسبق له مثيل ، وهو يقف داخل حظيرة المقاتلة الأمريكية الأحدث (الشبح ـ ٣) ، والتى بدت مع خلوّها ، هائلة الحجم ، إلى حد لا ينافسه سوى غضب الوزير وثورته ، وهو يهتف فى وجه قائد القوات الجوية :

- أريد تفسيرًا يا جنرال .. امنحنى تفسيرًا منطقيًا واحدًا ، لسرقة مقاتلة ، هى أحدث وأقوى ما أنتجته تكنولوجيتنا ، بهذه البساطة المدهشة ، كما لو كانت دراجة قديمة ، ملّ منها صاحبها ، وألقاها بإهمال خارج ساحة منزله .

عضّ قائد القوات الجوية شفتيه فى سخط عصبى ، وهو يجيب :

- لا يوجد وجه للشَّبَه يا سيادة الوزير .. (الشبح ـ ٣) كانت محاطة بنطاق أمنى لا مثيل له .

قال الوزير فى غضب ساخر :

- هذا يبدو واضحًا .

تجاهل قائد القوات هذه المقاطعة المستفزة ، وهو يتابع :

ـ وكان ينبغى أن تقوم بمناورة تجريبية ، بقيادة واحد من أفضل طيارينا ، وما إن انطلق بها ، حتى انحرف عن المسار المحدود ، وانطلق نحو الجنوب ، ثم اختفت آثاره من كل شاشات الرادار فجأة .

قال الوزير ، بنفس السخرية الغاضبة :

ـ عظيم .. هل تعنى أن بعض الأجسام الطائرة المجهولة ، القادمة من الفضاء الخارجى ، قد اختطفت مقاتلتنا ؟!

قال القائد فى حدة :

ـ أنا لم أعن هذا ، ولا يمكن أن أعنيه يا سيِّدى الوزير ، ولو أنك طالعت التقارير الخاصة بالمقاتلة (الشبح ـ ٣) ، لوجدت أن أكبر مميزاتها ، بالإضافة إلى حملها لستة رءوس نووية محدودة ، هو قدرتها المدهشة على الاختفاء ، من أى شاشة رادار فى العالم ، وهذا يعود إلى تصميمها الانسيابى ، الشبيه

بالماس ، وذلك الطلاء الأسود ، غير العاكس للضوء على الإطلاق ، والذى تم طلاؤها به ، ثم إن لديها القدرة على الانطلاق بسرعة تبلغ ...

قاطعه الوزير فى غضب :

ـ كل هذا أحفظه عن ظهر قلب ، ولكنه قد يبرِّر عجزكم عن ملاحقة المقاتلة واستعادتها ، إلا أنه لا يبرِّر مطلقًا فشلكم فى حمايتها .

قال قائد القوات الجوية فى عصبية :

ـ ما حدث لا يوصف بالفشل يا سيِّدى الوزير .. ليس بالنسبة لنا على الأقل .. صحيح أن الطيَّار ، الذى فرَّ بالمقاتلة ، هو أحد أفضل طيارينا ، منذ حرب الخليج ، إلا أن المخابرات المركزية هى التى فحصت ملفه ، ورشحته لقيادة (الشبح ـ ٣) ، فى مناوراتها التجريبية الأولى ، ويمكننى أن أجزم بأن ما حدث لا يتفق مع شخصيته قط .

بدا اهتمام قلق على وجه الوزير ، وهو يقول :

ـ هل تقصد أنه تم استبداله ، على نحو أو آخر ؟!

هزّ قائد القوات الجوية رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا أيضًا مستحيل ، فإجراءات الأمن هنا صارمة إلى حد كبير ، وكل شخص يدخل إلى القاعدة ، يتم فحصه وتفتيشه بمنتهى الدقة ، مهما بلغت رتبته ، أو بلغ منصبه .

غمغم الوزير فى توتر :

ـ لقد لاحظت هذا .

ثم عاد يسأل ، وقد تضاعف قلقه :

ـ ماذا حدث إذن فى رأيك ؟!

انعقد حاجبا قائد القوات الجوية فى شدّة ، وهو يجيب :

ـ هناك احتمال واحد ، وافقنى عليه خبراء الطيران لدينا ، وتتم دراسته الآن ، مع مراجعة كل احتمالاته .

سأله الوزير فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

أجاب القائد فى سرعة :

ـ السيطرة الإليكترونية .

تراجع الوزير ، متسائلاً فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

تابع القائد فى انفعال :

ـ الاحتمال الوحيد ، الذى يتفق مع كل ما لدينا من معطيات ، هو أن يكون بعضهم قد عبث بأجهزة التوجيه الآلية فى الطائرة ، بحيث حوّلها ، من مقاتلة بلغت ذروة القدرة على المناورة وإصابة الهدف ، إلى مجرَّد لعبة كبيرة ، يتم توجيهها عن بعد ، بوساطة أجهزة خاصة ، من موقع ثابت أو متحرك .

سأله الوزير مبهوتًا :

ـ وهل هذا ممكن ؟!

أشار القائد بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ إنه ليس سهلاً بالطبع ، ويحتاج إلى تكنولوجيا متطوِّرة للغاية ، وجاسوس يمكنه بلوغ المقاتلة ، وإضافة جهاز التوجيه إليها ، وكل هذا يحتاج بالطبع إلى أموال طائلة .. ولكن النتائج تستحق بالطبع ،

فالاستيلاء على مقاتلة مثل (الشبح ـ ٣) ، بكامل تسليحها النووى ، أمر يساوى مليارات من الدولارات ، وقوة هائلة ، تكفى لإخضاع دولة كاملة .

عضَّ الوزير شفتيه ، قائلاً :

ـ وهذا ما نخشاه .

ثم لوَّح بذراعه ، وهو يتابع فى عصبية :

ـ تلك المنظمة الجديدة بدأت بداية عنيفة للغاية ، حتى إنها صارت تمتلك قوة مخيفة ، خلال أربع وعشرين ساعة فحسب .. غوَّاصة نووية روسية ، ومقاتلة رهيبة مثل (الشبح ـ ٣) .. لقد تم التخطيط للأمر منذ فترة طويلة ، بحيث تأتى الضربات كلها فى سرعة وقوة ، قبل أن نستعيد توازننا .. ومع جيش صغير كهذا ، صارت تمثِّل تهديدًا حقيقيًّا لنا ، على نحو لم يحدث قط ، عبر التاريخ كله ..

والتقى حاجباه طويلاً ، قبل أن يشير بسبَّابته ، مضيفًا :

ـ السؤال هو : ما الضربة التالية ؟! ماذا ستفعل منظمة (إكس) ، فى الجولة الثالثة .

أجابه القائد فى حزم :

ـ (موسكو) .

التفت إليه الوزير ، متسائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب القائد ، وهو يشدّ قامته :

ـ لقد أعلنوها صراحة ، وطالبوا بالإفراج عن رجلهم ، الجنرال (يورى بريماكوف) ، وإلا قصفوا (موسكو) نوويًّا .. والروس عنيدون كما تعلم ، ولن يخضعوا للتهديد فى سهولة .

بدا الشك على وجه الوزير ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أن تلك المنظمة تجرؤ على قصف (موسكو) بصاروخ نووى محدود بالفعل .. إنه مجرَّد تهديد أجوف ، و ...

قاطعه قائد القوات الجوية فى حدة :

ـ هل تراهن ؟!

حدَّق الوزير فى وجهه بدهشة ، قائلاً :

ـ أراهن ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى هرع إليه مساعده ، بوجه شاحب ممتقع ، يتشابه مع وجهه الذى غارت منه الدماء ، وهو يهتف :

ـ سيادة الوزير ، إشارة عاجلة من مكتب الرئيس .

اختطف الوزير الورقة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى غابت الدماء عن وجهه دفعة واحدة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! لقد فعلوها .

انتفض جسد قائد القوات الجوية ، وهو يردِّد :

ـ فعلوها ؟!

رفع الوزير عينيه إليه ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ لقد قصفوا (موسكو) ..

ومرة أخرى ، انتفض جسد قائد القوات الجوية .. بمنتهى العنف .

* * *

٣ ـ المستحيل !!

من الطبيعى ، مع شخص مثل (يارون دزرائيلى) ، ألا تكون هناك ذرة واحدة من التردُّد ..

لذا ، فما إن اتخذ قراره بإطلاق النار ، وقتل الفتيات الثلاث أمامه ، حتى تحرَّكت سبَّابته على الفور ، وضغطت زناد مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، وهو يصوِّب فوهته نحو رأس (نادية) مباشرة ، و ...

وقبل أن تنطلق الرصاصة ، بجزء ضئيل من الثانية ، ظهر (بترو) فجأة ..

وثب عبر الشرفة المفتوحة ، وهو يطلق صرخة غاضبة ، وأحاط وسط ذراعى (يارون) بساعديه الفولاذيين ..

ومع المباغتة غير المتوقَّعة ، انطلقت رصاصة (يارون) بدويها المكتوم ، لترتطم بأرضية الحجرة ، ثم ترتد نحو الجدار فى عنف ..

وبإسبانيته الغاضبة ، هتف (بترو) ، وهو ينتزع (يارون) من مكانه :

ـ كيف تجرؤ على التعرُض لهن ؟!

رفع (يارون) قدمه فى سرعة ، وركل ساق (بترو) خلفه فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كيف تجرؤ أنت على مهاجمتى هكذا ؟!

كانت الضربة مؤلمة للغاية ، حتى إن (بترو) أطلق زمجرة قوية ، وتراخى ساعداه حول الإسرائيلى ، الذى انزلق من بينهما فى خفة وسرعة ، ورفع فوهة مسدسه مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ ومن سوء حظك أنك ستدفع ثمن هذا .

ولكن (نادية) وثبت نحوه ، وركلت المسدس من يده بضربة قوية ، وهى تقول :

ـ ليس بهذه البساطة يا (دزرائيلى) .

فقد الإسرائيلى سلاحه ، ولكن هذا لم يفتّ فى عضده ، فقد مال جانبًا فى رشاقة ، وركل (بترو) فى صدره ركلة قوية ، دفعت الزنجى إلى الخلف فى

عنف ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها بقبضته على وجه (نادية) ، هاتفًا :

ـ كيف إذن ؟!

مالت (نادية) فى خفة ، متفادية ركلته ، وما إن فعلت حتى اندفعت (منى) إلى الأمام ووثبت فى خفة ، ودارت حول نفسها برشاقة مدهشة ، لتركله فى أنفه مباشرة ، هاتفة :

ـ ما رأيك بهذا ؟!

كانت ضربة قوية موفَّقة ، فجَّرت الدماء من أنفه ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، إلا أنه استعاد توازنه بسرعة مدهشة ، ومال يتجنَّب ركلة أخرى من (منى) ، وقفزت قبضته تلكم (بترو) ، الذى انقضَّ عليه فى غضب ، ثم وثب إلى الأمام ، هاتفًا فى صرامة :

ـ من الواضح أنكن تتلقَّين تدريبات رائعة فى جهاز مخابراتكن .

ودار حول نفسه مع وثبته ، متفاديًا لكمة (نادية) ، ومستطردًا :

- ولكن هذا لا يعنى أنكن الأفضل .

واختطف مسدسه الملقى أرضًا ، متابعًا بصرامته الباردة :

- أمام ضابط مخابرات إسرائيلى .

قالها ، وفوهة مسدسه ترتفع نحوهن ، و ...

« أأنت واثق ؟! »

نطقتها (جيهان) فى صرامة ، وهي تدفع مقعدها إلى الأمام ، وتختطف إناء زهور ثقيلاً ، ثم تهوى به على رأس (يارون) ، بكل ما أوتيت من قوة ..

وانتفض جسد رجل المخابرات الإسرائيلى فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، من فرط الدهشة والألم ، قبل أن يسقط رأسه ، ويرتطم بالأرض ..

ولثانية أو ثانيتين ، خيم على المكان صمت مطبق ، قبل أن تغمغم (نادية) :

- ربّاه ! لقد عملنا معًا بتوافق مدهش .

أجابتها (منى) فى حزم :



نطقتها (جيهان) فى صرامة ، وهى تدفع مقعدها إلى الأمام ، وتختطف إناء زهور ثقيلاً ، ثم تهوى به على رأس (يارون) ، بكل ما أوتيت من قوة ..

ـ هذا أمر طبيعى .. لقد تلقينا تدريباتنا كلنا بنسق واحد .

ثم أدارت عينيها إلى (جيهان) ، مستطردة بابتسامة كبيرة :

ـ ولكن (جيهان) حسمت الأمر بأسلوب جديد .

هزَّت (جيهان) رأسها ، مغمغمة :

ـ بقدر إمكانياتى .

نهض (بترو) فى هذه اللحظة ، فأشارت إليه (منى) ، قائلة بالإسبانية :

ـ قيِّده فى إحكام ، وكمِّم فمه جيِّدًا .

أسرع (بترو) ينفذ الأمر، فى حين قالت (نادية) ، وهى ترمق (يارون) بنظرة مقت :

ـ لو أننى فى مكانك ، لأمرت بنسف رأسه ، كما أراد أن يفعل بنا .

أجابتها (منى) فى صرامة :

ـ لا يوجد أى مبرِّر لقتله الآن .

قالت (نادية) فى سخرية :

ـ وماذا لو استعاد وعيه ، وعاد للسعى خلفنا ؟!

انعقد حاجبا (منى) ، وهى تكرِّر فى صرامة أكثر :

ـ لن نقتل رجلاً فاقد الوعى .

قالت (نادية) فى غضب :

ـ لو أنه فى موضعنا ، لما تردَّد لحظة واحدة فى سحقنا سحقًا ، حتى لو كنا داخل حجرة عناية مركَّزة .

قالت (منى) فى حدة :

ـ من حسن الحظ أننا لسنا فى موضعه .

همَّت (نادية) بقول شىء آخر ، ولكن (جيهان) أشارت إليها ، قائلة :

ـ لا تحاولى .. إنها تلميذة أستاذنا المشترك .

مطَّت (نادية) شفتيها ، قائلة فى غلظة :

ـ أستاذكما وحدكما .

ثم أشاحت بوجهها ، متابعة :

ـ على أية حال ، وسواء قتلنا هذا الوغد أم لا ، فهذا الفندق لم يعد آمنًا لمواصلة العمل .

قالت (جيهان) فى حزم :

ـ (كراكاس) كلها لم تعد آمنة لهذا ، ما دام الإسرائيلى قد عرف موضعنا ، فلا يوجد ما يمنع غيره من هذا .

أشارت (منى) بيدها ، قائلة :

ـ كان ينبغى أن يكون هناك منزل آمن احتياطى .

ألقت (جيهان) نظرة على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول :

ـ لو أردتما رأيى ، فطبقًا لكل ما لدينا من معلومات ، لست أتوقع وجود (أدهم) بعيدًا عن (كوماتا) وأدغالها .

التفتت الاثنتان إليها فى آن واحد ، وسألتها (منى) فى توتر :

ـ وما دليلك على هذا ؟!

أشارت (جيهان) إلى المعلومات على الشاشة ، مجيبة :

ـ القوات الفنزويلية تحركت فور الانفجار ، وقبل

حدوثه بعدة دقائق ، بعد ما تم الاتصال بينها وبين (القاهرة) ، ومع تحركها ، تم رصد كل التحركات الأرضية والجوية ، والسجلات هنا لم تشر إلى رصد أية طائرات عادية أو هليوكوبتر ، خارج حدود الأدغال .. وما دامت (نادية) تؤكد سماعها لطائرة هليوكوبتر تبتعد ، عندما كانت فى طريقها إلى القاعدة ، بعد أن انفجر الصاروخ ، فهذا يعنى أن من اختطفوا (أدهم) لم يغادروا أبدًا منطقة أدغال (كوماتا) ، التى حوصرت بعد وصول القوات الفنزويلية ، ورجال البحث الخاصين بنا .

قالت (منى) فى اهتمام :

ـ ولكن الأدغال تم تفتيشها أيضًا .

هزت (نادية) رأسها ، قائلة :

ـ مستحيل ! لقد رأيت هذه الأدغال بنفسى ، وتفتيش مناطق مثلها يحتاج إلى عمر كامل .

وأضافت (جيهان) فى حماس :

ـ ثم إنه من المؤكد أن مختطفى (أدهم) يختبئون فى مكان يصعب كشفه .

سألتها (منى) :

ـ أين ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ فى قلب الأدغال نفسها .

عاد الصمت يلفّ الجميع بضع لحظات ، قبل أن تغمغم (نادية) :

ـ هل تعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابت (منى) فى حزم :

ـ أننا نلعب فى ملعب خطأ .

وأشارت (جيهان) بسبّابتها ، مضيفة :

ـ بالتأكيد .. الملعب الحقيقى هناك .

وانعقد حاجباها فى حزم ، متابعة :

ـ فى الأدغال .. أدغال (كومانا) .

لم تكد الكلمة تفارق شفتيها ، حتى التقت عيون ثلاثتهن فى صمت ..

صمت كان أبلغ من أى كلام ، وهو يحدّد هدفهم التالى ..

الأدغال ..

★ ★ ★

« الروس قرّروا الإفراج عن (بريماكوف) .. »

نطق مدير المخابرات المصرية العبارة فى توتر بالغ ، وهو يطالع آخر تقارير الموقف المشتعل ، قبل أن يلقى التقرير على سطح مكتبه ، متابعًا :

ـ منظمة (إكس) قامت بقصف هدف عسكرى ، على مسافة مائة كيلومتر من (موسكو) ، بصاروخ ذى رأس نووى محدود ، مما أدّى إلى نسف القاعدة العسكرية بالكامل ، وكل المنطقة المحيطة بها ، ولولا محدودية الرأس النووى(*)، لوصلت الأشعة إلى (موسكو) نفسها ، خلال عشر دقائق فحسب ..

(★) الرءوس النووية المحدودة : هى قنابل نووية شديدة التأثير ، فى رقعة محدودة ، وذات نشاط إشعاعى أقل ، تم ابتكارها فى ثمانينيات القرن العشرين ، كمحاولة لقصف أهداف قريبة ، دون التسبُّب فى حدوث كارثة بيئية شاملة ، تضرّ بالعالم أجمع .

وتنهَّد فى عصبية ، متابعًا :

ـ من الواضح أن هذا قد نجح فى زلزلة الروس بشدَة ، وخاصة عندما فحصوا منطقة القصف ، وأدركوا أن منظمة (إكس) قد استخدمت المقاتلة الأمريكية (الشبح ـ ٣) ، مستعينة بكل إمكانياتها ، التى حجبتها عن الرادارات وأجهزة الرصد تمامًا ، وبطيار ماهر بارع للغاية ، وهذا يعنى أنها منظمة قوية ، تمثِّل خطرًا داهمًا ، على العالم أجمع .

هزَّ مساعده رأسه ، مغمغمًا :

ـ هذا أمر واضح ، فالروس لا يستسلمون بهذه السهولة أبدًا .

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ إنهم لا يستسلمون مطلقًا ، حتى ولو تظاهروا بالعكس .

سأله مساعده فى حيرة :

ـ ولكنهم سيسلمون (بريماكوف) بالفعل .. أليس كذلك ؟!

أشار المدير بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ لو أننا فى موضعهم لفعلنا هذا .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا بمنتهى الحزم :

ـ مع خطة بديلة للسيطرة على الموقف بالطبع ..

غمغم المساعد :

ـ كم أتمنى أن يفعلوا .

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً :

ـ سيفعلون .

ثم أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يتابع :

ـ السؤال الحقيقى الآن هو : ما الهدف التالى ؟!

أجاب مساعده فى سرعة ، وكأنما يتوقَّع السؤال وينتظره :

ـ الاستيلاء على سلاح آخر .

هزَّ المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لن يكون ذلك سهلاً ..

هتف المساعد :

ـ حتى مع وجود كل هذه القوة .

أومأ المدير برأسه ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى حزم :

ـ أية قوة ؟! لقد فقدوا صاروخًا ذا رأس نووى

بالفعل ، وبقيت معهم خمسة صواريخ أخرى ، مع الصاروخ الموجَّه ، فى الغواصة الروسية ، وكلها قوة تصلح لعمليات إرهابية محدودة ، ولكنها لن تصمد أمام حرب مباشرة .. العالم أجمع يدرك ما حدث الآن ، ولن يصبح من السهل الاستيلاء على سلاح آخر ؛ إذ إن الكل سيحيط أسلحته بقدر هائل من الحراسة والتأمين ، وستتضاعف إجراءات الأمن ثلاث مرات على الأقل .

سأل المساعد فى حيرة :

ـ ماذا يمكن أن يفعلوا بما لديهم إذن ؟! هل سيوجهون ضربات أخرى لدول أخرى ؟!

هزَّ المدير رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لست أتوقَّع هذا أيضًا .. ليس بدون سبب قهرى ، يضطرهم لفقد جزء آخر من قوتهم ، التى ينبغى عليهم استغلال كل ذرة منها ، لتدعيم وجودهم ، وتثبيت أقدامهم .

صمت مساعده بضع لحظات ، غرق خلالها فى تفكير عميق ، قبل أن يرفع عينيه إلى المدير ، متسائلاً :

ـ هذا يعيدنا إلى السؤال الأوَّل : ما الهدف التالى ؟!

اتجه المدير إلى النافذة ، ووقف يتطلَّع عبرها ، وهو يدس كفيه فى جيبى سرواله ، قبل أن يقول :

ـ لقد أنفقوا أموالاً طائلة ، لتحقيق هدف القوة ، ولا بد لهم من الحصول على عائد استثماراتهم أوَّلاً .

سأله مساعده فى لهفة :

ـ كيف ؟!

صمت المدير طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب :

ـ هذا ما ستجيب عنه الأيام القادمة .

تمتم المساعد فى توتر :

ـ وماذا لو أن الجواب أتى إلى أرضنا نحن هذه المرَّة ؟!

طال صمت المدير أكثر مما ينبغى هذه المرَّة ، وهو يتطلَّع عبر نافذة مكتبه إلى ساحة المبنى ، قبل أن يجيب فى عمق حازم صارم :

ـ فى هذه الحالة ، ينبغى أن نبذل جهدًا أكبر لاستعادته .

انفرجت شفتا المساعد ، ليسأله عمن يقصد .. ثم أدرك الجواب وحده ..

وعاد يضمّ شفتيه ..
ويلوذ بالصمت ..
وشاركه المدير صمته أيضًا ..
شاركه طويلاً ..
جدًّا ..

★ ★ ★

كل شىء كان هادئًا للغاية ..
كالمعتاد ..
كل شىء ..
حتى (أدهم) نفسه ..
كان يرقد على فراشه صامتًا هادئًا ، يتطلّع إلى آلات التصوير والمراقبة ، وكأنما لا شىء فى العالم كله يشغله أو يقلقه ..
كانت أرضية الحجرة من حوله مكهربة ، وباب حجرته مغلق ، منذ أكثر من أربع ساعات ، دون أن يسمع حتى وقع الأقدام الثقيلة للحراس فى الخارج ..
وعلى الرغم من ذلك الهدوء الظاهرى ، والملامح الجامدة ، التى لا تشفّ عن أية انفعالات ، كان عقله ويداه كلها تعمل بسرعة وكفاءة مدهشتين ..

كانت أصابعه توصل قطعة السلك ، التى انتزعها خلسة ، من الجهاز الطبى الذى أسقطه ، بجزء معدنى رفيع مزدوج ، انتزعه من قائم فراشه الطبى ..
أما عقله ، فكان يستعيد كل ما جمعه من معلومات ..
وكل ما نطق به سفاح الصرب ..
وفى سرعة مدهشة ، استعاد خطته ثلاث مرّات متتالية ، ليراجع كل دقائقها وتفاصيلها ..
ثم ابتسم فى سخرية ..
ابتسامة كبيرة ارتسمت فى أعماقه .. دون أن يظهر أدنى أثر منها على شفتيه ووجهه ..
ولمرة أخيرة ، راجع الخطة كلها فى ذهنه ..
ثم تحرّك ..
وبهدوء عجيب ، اعتدل جالسًا على فراشه ، وهو يتطلّع إلى آلات المراقبة ، الموزّعة فى الأركان الأربعة ، قائلاً بابتسامة غامضة :
ـ هيا .. راقب جيدًا أيها الوغد ، فما ستراه الآن لن يروق لك حتمًا .
قالها ، ثم أخرج يده بذلك السلك الطويل ، المتصل بقطعة المعدن المزدوجة ، وغرس قطعة المعدن فى

تجويف جانبى ، فى جهاز رسام المخ الإليكترونى ، ثم مال فى رشاقة مدهشة ، دون أن يلمس جسده الأرض ، وخفض طرفى السلك ، ليلامسا الأرض دفعة واحدة ..

وما إن فعل ..

ومع التيار الكهربى القوى ، الذى يسرى فى أرضية الحجرة ، دوت فرقعة مكتومة ، ثم اشتعلت النيران دفعة واحدة ، فى الجهاز الطبى الإليكترونى ..

وفى نفس اللحظة ، التى اشتعلت فيها النيران ، تعالى وقع أقدام رجال طاقم الحراسة الثقيلة ، وهم يركضون عبر الممر الطويل ، خارج حجرته ..

وبسرعة مدهشة ، ودون أن يضيع جزءًا من الثانية ، ألقى (أدهم) وسادة فراشه المطاطية أرضًا ، ووثب فوقها ، وانزلق معها فوق الأرضية المكهربة(*) ، وهو يدفع أمامه الجهاز الإليكترونى المشتعل ، إلى منتصف الحجرة تمامًا ..

واقتحم (بولارد) ورجاله الحجرة ..

(*) المطاط : عازل للتيار الكهربى .

وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، وسفاح الصرب يهتف فى غضب ، مع مرأى النيران :

ـ أية محاولة سخيفة هذه أيها المصرى ؟!

مع آخر حروف هتافه ، اشتعل جهاز إنذار الحريق ، بفعل النيران المشتعلة فى الجهاز الطبى الإليكترونى أسفله .

وتفجَّرت المياه فى ثقوب شتى فى السقف ..

وسقطت على (بولارد) ورجاله ..

وعلى أسلحتهم الثقيلة ..

والأرضية المكهربة ..

ودون فرقعة أخرى مكتومة ..

بل عدة فرقعات ..

وانتفضت أجساد الجميع فى عنف ، عندما سرى فيها التيار الكهربى القوى(*) ..

على الرغم من أحذيتهم ، ذات النعال العازلة للكهرباء ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقطوا فيها أرضًا ،

(*) الماء : موصِّل جيِّد للتيار الكهربى .

وراحت أضواء المكان تتذبذب كلها فى عنف ، دفع (أدهم) وسادته المطاطية نحو الباب ، وهو يقول فى سخرية :

- معذرة أيها الوغد .. لقد خدعتكم ، عندما نصحتكم بارتداء أحذية مطاطية .

ثم وثب من فوق أجسادهم ، من وسادته المطاطية إلى الخارج ، مستطردًا :

- فلم يكن هذا ليصنع فارقًا ، مع الماء المباشر .

دوت فرقعة عنيفة ، مع آخر حروف كلماته ، وانقطع التيار الكهربى فى الحجرة كلها دفعة واحدة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها اثنان من رجال الحراسة ضخام الجسد ، عند بداية الممر ، وسط الماء ، الذى ينهمر من أجهزة مكافحة الحريق ، فى المكان كله ، وصاح أحدهما فى صرامة .. أو أنه قد أطلق زمجرة عجيبة على الأصح ، وهو يشير نحو (أدهم) ، فى حين رفع زميله فوهة مدفعه ..

وانطلقت رصاصاته ..

كان التيار الكهربى قد انقطع عن أرضية حجرة

(أدهم) ، بعد سريانه فى أجساد خصومه ، فوثب داخلها ، متفاديًا رصاصات الرجل ، واختطف مدفعين آليين ، من بين الأجساد الفاقدة الوعى ، وهو يهتف :

- لا تبادر بهجوم عنيف أيها الوغد .

واعتدل بسرعة ، ليعود إلى موضعه خارج الحجرة ، وهو يطلق نيران المدفعين فى آن واحد ، مستطردًا :

- ما لم تكن قادرًا على مواجهة رد الفعل .

انطلقت الرصاصات من مدفعيه ، تحصد الرجلين بلا هوادة ، وهو يعدو بكل قوته عبر الممر ، هاتفًا :

- لا وقت للمجاملة ، والإبقاء على حياة أى وغد منكم ، فزعيمكم السيد (X) لن يلبث أن ينتبه إلى الثغرة الضخمة ، فى نظامه الأمنى المحكم ، ويسعى لسدها .. هل تسمعنى يا زعيم الأوغاد ؟! سأمنحك عشرين ثانية فحسب ، لتدرك الخطأ فى لعبتك المحكمة ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك .

برز رجلان آخران ، من ممر جانبى ، فأطلق (أدهم) نيران مدفعيه عليهما دون تردُّد ، ولم ينتظر حتى سقوطهما ، وهو يعدو عبر ممر آخر ،

متمنيًا أن يقوده إلى مخرج ذلك الوكر الرهيب ..

وفى الوقت المناسب ..

فالشىء الذى لم ينتبه إليه السيد (X) ، فى نظامه الأمنى الإليكترونى المحكم ، هو أن الآلات مهما بلغت دقتها وتعقيداتها ، تنفذ برنامجها على نحو بالغ الإتقان ، دون أى استثناء واحد ..

ودون افتراض محاولة الخداع ..

أو الاستفادة من تلك الدقة المدهشة ..

ومع وجود نظام إنذار ووقاية ضد الحريق ، يتم الأمر بنسق واحد ..

فى كل الأحوال ..

فما إن تندلع النيران ، حتى تتفجر المياه ، أو أية مادة مضادة للنيران ، من نظم خاصة ، منتشرة فى الأسقف ..

ثم يتم فتح الأبواب بصورة آلية(*) ..

كلها بلا استثناء ..

(*) حقيقة .

وهذا يعنى أن مخرج الوكر أيضًا سيكون مفتوحًا .. كإجراء طوارئ ..

وهذه هى الثغرة الرئيسية ، فى برنامج الأمن المتقن ..

إلى أقصى حد ..

مع تلك النقطة من أفكاره ، بدا له المخرج ، فى نهاية ممر جانبى آخر ..

ممر يحتاج بلوغه إلى عبور منطقة تقاطع ثلاث ممرات أخرى ..

وكانت نظرية (أدهم) صحيحة ..

المخرج كان مفتوحًا ، كجزء من إجراءات الطوارئ ضد الحريق ..

وبأقصى سرعته ، انطلق (أدهم) وحده ، وهو يهتف ساخرًا :

ـ هل أدركت الآن أين الثغرة ، يا ملك الأدغال ؟!

ومع آخر حروف كلماته ، بدأت بوابة المخرج المعدنية الثقيلة رحلة العودة ..

وتحرَّكت لتُغلق نفسها من جديد ..

كان من الواضح أن السيد (X) قد أدرك خطأه ..

واتخذ كل ما يلزم لتداركه ..

بأقصى سرعة ..

وتحوَّل الأمر إلى سباق رهيب ..

سباق بين (أدهم صبرى) ..

والبوَّابة المعدنية الضخمة ..

ولم يكن هناك بديل هذه المرَّة ..

سوى الموت نفسه ..

لقد أشعل نيران المعركة بالفعل ..

فإما أن يغادر الوكر الآن ..

أو يبقى فيه إلى الأبد ..

الفكرة ضاعفت من حزمه وإصراره ..

ومن سرعة عدوه المذهلة ..

البوابة الثقيلة تتحرَّك ..

وفتحتها التى تبدو السماء الصافية المظلمة من خلفها تقلّ ..

وتقلّ ..

وتقلّ ..

و (أدهم) يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، برز ثلاثة من حراس (بولارد) الأقوياء ..

ثلاثة ثيران ثائرة ، برزت من التقاطعات الثلاثة ، وكل منهم يطلق زمجرة غاضبة ، ثائرة ، مخيفة ..

ولم يكن من الممكن أن يتوقَّف (أدهم) لحظة واحدة ..

لذا فقد انطلقت رصاصاته ..

ورصاصاتهم ..

خيط من اللهب اخترق ذراعه اليمنى ..

وآخر غاص فى كتفه اليسرى ..

ولكنه لم يتوقَّف ..

الدماء تفجَّرت من ذراعه وكتفه ..

ومن أجساد وصدور أعدائه ..

أنهار من الدم ، امتزجت بالمياه التى أغرقت الممرات ..

ولم يتوقَّف (أدهم) ..



كان يطلق النيران كسيل لا ينقطع .. وعيناه معلقتان بالبوَّابة ، التى ضاقت فتحتها أكثر .. وأكثر ..

كان يطلق النيران كسيل لا ينقطع ..

وعيناه معلقتان بالبوَّابة ، التى ضاقت فتحتها أكثر..

وأكثر ..

وأكثر ..

وسقط خصومه الثلاثة صرعى رصاصاته ..

وبرز أربعة آخرون ..

وفى الممر ، انبعث صوت معدنى جهورى ، يصرخ :

ـ أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن ..

كان واثقًا من أنها صرخة السيد (X) ، تأتى عبر جهاز إليكترونى ، يعمل على تغيير نبرات صوته تمامًا ..

ولكن حتى هذا لم يوقفه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها رصاصات الرجال الأربعة من خلفه كالمطر ، وثب (أدهم) :

ـ وثب بكل ما يمتلك من قوة ورشاقة وخفة ..

بكل خبرات عمره ..

وكل ما تبقى من قواه وإرادته ..

ولكن فتحة البوَّابة كانت قد أصبحت ضيقة ..

ضيقة إلى حد كبير ..

ومخيف .

★ ★ ★

٤ - التحدّى ..

انتفخت أوداج الجنرال (يورى بريماكوف) ، وهو يملأ صدره بالهواء النقى ، داخل السيارة الكبيرة ، التى تنطلق به ، فى طريق (موسكو) (ليننجراد) الطويل ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة كبيرة ، وهو يقول :

- جميلة هى الحرية .

ثم أطلق ضحكة مستفزة ، مستطردًا :

- ولكن القوة أكثر جمالاً .

غمغم رجل المخابرات الصارم ، الذى يقود السيارة :

- يلوح لى أن كلتيهما لن تدوم يا جنرال .

ابتسم الجنرال (بريماكوف) فى سخرية ، قائلاً :

- هذا ما تتصوّرونه .

ثم لوَّح بيده ، مضيفًا ، فى شىء من الزهو :

- ألم تدرك بعد ، يا رجل المخابرات العتيق ، أنها المرّة الأولى ، التى يخضع فيها قادة السوفييت لتهديد مباشر ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

- لم يعد هناك سوفييت .

قهقه الجنرال ضاحكًا ، وهو يقول :

- فليكن أيها المتحجِّر .. فلنعدل العبارة التاريخية ، ولنضع كلمة الروس ، بدلاً من السوفييت .. ولنقل : إنها المرة الأولى ، فى التاريخ كله ، التى يخضع فيها قادة (روسيا) لتهديد مباشر ، من أية دولة ، أو أية جهة .. ألا توافقنى على هذا ؟!

غمغم رجل المخابرات :

- بالتأكيد .

ثم استدرك فى صرامة شديدة :

- ولكن هذا أيضًا لن يدوم طويلاً .

استرخى (بريماكوف) فى مقعده ، وهو يقول :

- ربما أيها المتحذلق ، ولكن المؤكَّد أن تلك المنظمة الجديدة ، التى أعمل لحسابها ، قوية للغاية ، وتدافع عن رجالها جيِّدًا .

وربَّت على ظهر رجل المخابرات ، مستطردًا فى حماس :

- وربما أفضل من جهاز مخابراتكم العتيق كله ..

انعقد حاجبا رجل المخابرات الروسى ، وهو يقول :

ـ لو لمستنى مرة أخرى ، سأطلق النار على رأسك مباشرة ، حتى ولو أدَّى هذا إلى اندلاع الحرب العالمية الثالثة .

أجابه (بريماكوف) فى سخرية :

ـ وبِمَ ستفعل هذا أيها العبقرى ؟! هل نسيت أن أوامر منظمة (إكس) ، هى ألا يرافقنى سواك ، دون تتبُّع أو مراقبة ، ودون أن تحمل أية أسلحة ، حتى قلاَّمة أظفارك .

ضغط رجل المخابرات الروسى أسنانه فى غضب ، وازدادت عيناه الزرقاوان ضيقًا ، وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة ، قبل أن يرفع صوته ، قائلاً :

ـ هل سنواصل الانطلاق فى هذا الطريق إلى الأبد ؟!

هزَّ (بريماكوف) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يعاود الاسترخاء فى مقعده ، قائلاً فى سخرية :

ـ لست أدرى شيئًا عن هذا .. هم سيقودونك حتمًا ، وإلا ما طلبوا ضبط جهاز الاتصال اللاسلكى على موجة خاصة .

ابتسم رجل المخابرات الروسى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ خطوة عبقرية للغاية .

أجابه (بريماكوف) :

ـ بالتأكيد ، فهم يعلمون أن أبسط ما يمكن فعله ، هو تعقُّب تلك الموجة ، وكشف كل أحاديثهم .

ثم استعاد ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف :

ـ لذا فقد وضعوا خطة بديلة أنيقة .

قالها ، ومال إلى الأمام ، ليناوله ورقة صغيرة ، مستطردًا فى صرامة :

ـ هيا يا عزيزى رجل المخابرات المتحذلق .. اتجه إلى ذلك الموقع ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وإلا تم قصف (موسكو) مباشرة هذه المرَّة .. هل تفهم ؟!

التقى حاجبا رجل المخابرات الروسى الكثين فى غضب ، وهو ينحرف بالسيارة ، خارج الطريق الرئيسى ، وينطلق نحو البقعة ، التى تم تحديدها بدقة ، فى تلك الورقة التى ناوله إياها (بريماكوف) ، الذى عاد يسترخى فى مقعده ، وهو يقول فى سخرية لاذعة :

- أيقظنى عندما نصل إلى هناك .

ضغط رجل المخابرات أسنانه مرة أخرى ، وهو ينطلق بالسيارة ، حتى بلغ البقعة المحدَّدة ، وسط مجموعة من الأشجار الكثيفة ، فاعتدل (بريماكوف) ، وقال فى حزم :

- هيا يا رجل .. سنغادر هذه السيارة السخيفة ، وسنستقل سيارتنا الخاصة ، خلف تلك الأشجار هناك .

غادرا السيارة ، واتجها إلى حيث تختفى سيارة صغيرة ، من طراز روسى شائع ، استقلاها معًا ، وانطلق بها رجل المخابرات ، ولم يكد يفعل حتى انبعث من جهاز الاتصال فيها صوت يقول :

- مرحبًا يا جنرال (بريماكوف) .. منظمة (إكس) تهنئك بحريتك ، سيتبع سائقك تعليماتنا ، عبر هذه الموجة السرية الخاصة ، وسنلتقى بعد عشر دقائق فحسب .

تمتم الجنرال فى ارتياح :

- عظيم .

راحت التعليمات تتوالى على رجل المخابرات الروسى ، وهو يعمل على تنفيذها فى غيظ محنق ، فيدور حول مرتفع ، ويتجاوز شريط قطار ، وينطلق عبر غابة من الأشجار ، حتى بلغ منطقة واسعة ، استقرَّت وسطها هليوكوبتر، يقف أمامها رجل مقنَّع ، يرتدى زيًّا رسميًّا ، يحمل حرف (X) على جبينه ..

وفى ظفر واضح ، غادر (بريماكوف) السيارة ، واتجه نحو الهليوكوبتر ، فأدَّى له الطيَّار المقنَّع تحية عسكرية ، فى احترام بالغ ، قبل أن يفسح له الطريق لركوب الهليوكوبتر ، ثم يحتلّ مقعد القيادة ..

وقبل أن تدور مراوح الهليوكوبتر ، هتف رجل المخابرات الروسى فى صرامة :

- تذكَّر يا جنرال .. كل هذا لن يدوم .

قهقه الجنرال ضاحكًا ، وهو يقول :

- هل تراهن ؟!

ومع قوله ، بدأت مراوح الهليوكوبتر فى الدوران ، فهتف رجل المخابرات الروسى ، بكل غضب وصرامة الدنيا :

- فليكن ، وعندما تدور الدوائر، تذكَّر اسمى جيِّدًا .

وارتفعت الهليوكوبتر ، وهو يضيف :

- اسمى (كوربوف) .. (سيرجى كوربوف) .

نطقهـا والهليوكوبتر تنطلق مبتعـدة ، فى سـمـاء (روسيا) ، بعيدًا عن كل نقـاط المراقبـة ، وشاشـات الـرادار ، معلنـة انتصـارًا جديدًا ، فـى عـالم الشـر ، وقانون منظمات الجاسوسية الخاصة ..

انتصار منظمة (إكس) ..

الغامضـة ..

جدًا .

★ ★ ★

لم يكن من الممكن أبدًا أن تسمح المساحة المتبقية ، فى بوَّابة مدخل وكر منظمة (إكس) ، بمرور (أدهم) ، مع المدفعين الآليين ، اللذين يحملهما ..

ومع الرصاصات التى انهالت عليه كالمطر ..

لذا فقد تخلَّى عن المدفعين ..

أسقطهما وسط سيل الأمطار ..

وفرد ذراعيه أمامه عن آخرهما ..

وهو يثب بكل قوته نحو الفتحة الضيقة ، كالسهم ..

واخترقت رصاصة ثالثة جسده ..

وارتطمت رابعة بحافة عنقه ..

واقتربت البوَّابة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن جسده عبرها بسرعة مدهشة ..

وفى اللحظة الأخيرة ..

بفارق ثانية واحدة ..

ونصف سنتيمتر ..

وارتطم جسده بأرض أدغال (كوماتا) ، وتدحرج فوقها فى عنـف ، قبل أن يثب واقفًا علـى قدميـه ، ويعدو مبتعدًا ، بكل ما تبقَّى له من قوة ..

كان يشعر بآلام رهيبة فى ذراعه وكتفه وجانبه ..

والدماء تنزف منه فى غزارة ..

ولكنه واصل العدو بإرادة فولاذية ..

بل أكثر صلابة من الفولاذ نفسه ..

وراح قلبه ينبض فى عنف ..

وينبض ..

وينبض ..

حتى لم يعد بوسعه أن يحتمل ..

ولم يعد باستطاعة ساقيه أن تحملاه ..

لذا فقد سقط ..

هوى أرضًا وسط الأدغال ، وقلبه يخفق فى عنف ، كما لو أنه سيثب من بين ضلوعه ..

وأنفاسه تتلاحق فى شدّة ، حتى بدت أشبه بلهاث ليث يحتضر ..

أما رأسه ، فراح يدور على نحو مخيف ، يوحى بأنه فى سبيله لفقدان الوعى ، لذا فقد ترك جسده يسترخى فوق الأعشاب الجافة ، وهو يجاهد للحفاظ على وعيه ، ومراجعة كل الأمور فى ذهنه ، استعدادًا للمرحلة القادمة ..

لقد نجحت خطته ، على الرغم من بساطتها ، وخدع نظام الأمن الإليكترونى بأكمله ، مستغلاً ثغرة ضخمة فيه ، وأصبح الآن داخل الأدغال ..

أدغال (كوماتا) ..

ومن المؤكَّد أن (بولارد) ورجاله لن يقفوا ساكنين أمام هذا ..

والسيد (X) الغامض لن يسمح لهم بهذا قط ..

لا ريب فى أنه يشتعل غضبًا الآن ..

وسيطلق قوته كلها خلفه حتمًا ..

بلا هوادة ..

أو رحمة ..

ومن المؤكَّد أن رجاله هؤلاء ، بقيادة سفاح الصرب السابق ، يحفظون هذه الأدغال عن ظهر قلب ..

على عكسه هو ..

وهذا يعنى أن الجولة القادمة ستكون أشبه بالجحيم ..

عندما يستعيد (بولارد) وعيه ..

وينطلق خلفه ..

وسط أدغال (كوماتا) ..

استوعب عقله ذلك الخطر الرهيب ، وهو راقد هناك ، على الأعشاب الجافة ، يلهث فى إرهاق شديد ، بعد كل ما فعله ، وهو لم يتجاوز فترة النقاهة من إصاباته السابقة بعد ..

وبكل إرادته ، نهض جالسًا ، وتحسَّس جرحى كتفه وذراعه ، ثم حلَّ قميصه ، وراح يفحص إصابة الرصاصة ، التى اخترقت جانبه ..

لقد أصابته فى جانبه الأيمن ، واخترقته من الخلف إلى الأمام ..

ولكن من الواضح أنها لم تخترق كبده أو معدته ..

اللّه (سبحانه وتعالى) اختار لها مسارًا سطحيًّا أبقى على حياته ..

وفى حزم ، وعلى الرغم من إرهاقه ، انتزع (أدهم) قميصه ، وراح يضمد به كل جراحه ..

كان هذا مرهقًا ومؤلمًا ، واحتاج إلى عشر دقائق كاملة ، و ...

ولكن فجأة ، وقبل أن يتمَّ عمله تمامًا ، دوى فى أذنيه هدير مروحة هليوكوبتر ، تنطلق وسط ظلام الليل ..

وسطع ضوء قوى فى المكان ..

وكان هذا يعنى أن سفاح الصرب قد استعاد وعيه فى سرعة ..

وأن الهجوم قد بدأ ..

ولن يلبث المكان أن يتحوَّل إلى جحيم ..

جحيم حقيقى وسط الأدغال ..

أدغال الموت ..

* * *

انعقد حاجبا مدير (الموساد) فى شدَّة ، وهو يستمع إلى تقرير يأتيه من (كراكاس) مباشرة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بأن (دزرائيلى) لم يتصل بك حتى

الآن .. إنه فى (فنزويلا) بالفعل ، منذ عدة ساعات ، ولقد أبلغنى منذ أربع ساعات على الأقل ، أنه قد كشف موقع فريق المخابرات المصرى ، وسيتجه إلى هناك .

وصمت بضع لحظات ، ليستمع إلى محدِّثه فى اهتمام متوتِّر ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ كلاً .. لا يمكن أن يفعل (دزرائيلى) هذا .. إنه أكثر قوة وصلابة من شقيقه الراحل .. أنا واثق من أنه هناك أمر ما .. نعم أبلغنى ما تتوصَّل إليه أوَّلاً فأولاً .

أنهى المحادثة فى حنق ، وهو يهتف :

ـ أين ذهب ذلك الأحمق (يارون) ؟! من المستحيل أن يكون المصريون قد .....

قبل أن يتمَّ عبارته ، اندفع مساعده (بيكويك) إلى المكتب بغتة فى عنف ، وهو يهتف :

ـ أدون (زيلمان) .. مفاجأة يا أدون (زيلمان) .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ كيف تقتحم المكتب على هذا النحو .. أين مدير المكتب ؟!

والمدهش أن (بيكويك) قد تجاهل هذا الغضب تمامًا ، وهو يضع أمامه تقريرًا عاجلاً ، وهو يقول :
ـ اقرأ هذا .
كان (زيلمان) ثائر الأعصاب بحق ، إلا أنه ألقى نظرة على التقرير ، وهو يقول فى توتر :
ـ ماذا هناك ؟! إنه طفل صغير ، تم إنهاء مرحلته الدراسية فى (تل أبيب) ، وسافر إلى والدته فى (نيويورك) ، و ...
اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :
ـ هل تعنى أن .....
قاطعه (بيكويك) فى انفعال :
ـ بالضبط يا أدون (زيلمان) .. إنه طفل فى الثالثة من عمره .. كان يتلقى تعليمًا خاصًا ، لمرحلة ما قبل الدراسة ، فى المدرسة الملحقة بالمعبد اليهودى .. انظر إلى صورته .. إنه نسخة طبق الأصل من أبيه ..
ثم مال نحوه ، مضيفًا :
ـ من (أدهم صبرى) ؟
احتقن وجه (زيلمان) فى شدة ، وهو يحدق فى الصورة ، قبل أن يتراجع متمتمًا فى انفعال جارف :

ـ مستحيل ! مستحيل ! إنها خدعة حتمًا .
قال (بيكويك) فى توتر :
ـ بالتأكيد يا أدون (زيلمان) .. لقد خدعتنا (سونيا جراهام) .. تركتنا نسعى خلف هدف زائف ، أعدته بمنتهى الإتقان ، حتى تحمى ابنها من (أدهم) .
صاح (زيلمان) ، وهو ينتفض فى عنف :
ـ مستحيل !
ثم اختطف صورة كبيرة من مكتبه ، وهب قائلاً فى غضب :
ـ هل نقلتم الطفل إلى المخبأ السرى ؟!
أجابه فى توتر :
ـ إننا نستعد لهذا .
اندفع إلى الأمام ، وهو يقول فى حدة :
ـ دعنى أواجهه أولاً .
كان يسير عبر ممرات مبنى (الموساد) كالعاصفة ، و (بيكويك) يعدو خلفه ، وهو يغمغم :
ـ لقد أجادت اللعبة بحق ، و ...
قاطعه (زيلمان) فى حدة :
ـ قلت : مستحيل .

ثم استدار إليه بثورة هادرة ، هاتفًا :ـ

ـ ذلك الطفل ، الذى نحتفظ به ، هو ابن (أدهم) و (سونيا) ، وسأثبت هذا ، بما لا يدع مجالاً للشك .

قالها ، ثم اقتحم الحجرة ، التى يحتفظون فيها بالطفل ، الذى لم يكد يلمحه حتى أطلق صرخة خوف وتراجع هاتفًا :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .

صاح به (زيلمان) فى غضب :

ـ اصمت أيها الغبى ، وإلا صفعتك على وجهك .

بكى الطفل فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ أريد أمى .. أريد أن أذهب لأمى .

رفع (زيلمان) صورة (سونيا جراهام) ، أمام وجه الطفل ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ هذه هى أمك .. أليس كذلك ؟!

حدّق الطفل فى الصورة لحظة ، فى حيرة واضحة ، قبل أن يرفع عينيه المذعورتين إلى (زيلمان) ، مجيبًا :

ـ كلاّ .. إنها ليست أمى .

ومع الغضب الذاهل ، الذى أطلّ من عينى (زيلمان) ، استدرك فى رعب :ـ

ـ هل ينبغى أن أقول إنها كذلك ؟!

ولم يجب مدير (الموساد) ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة .. ومخزية .. بكل المقاييس ..

* * *

ارتسم غضب هادر على وجه الجنرال (بولارد) ، وهو يقف أمام شاشة الكمبيوتر ، داخل الوكر السرّى لمنظمة (إكس) ، وشبكة الإنترنت تنقل إليه صوتًا آليًّا مبرمجًا ، يقول برنة غضب واضحة :

ـ ما حدث سخيف يا جنرال .. سخيف وخطير للغاية .. ذلك الرجل ، الذى سخر منكم جميعًا ، ونجح فى الفرار من مكان ، كنا نتصوّره أكثر أماكن الأرض أمنًا ومناعة ، هو أخطر رجل مخابرات فى العالم أجمع ، وبقاؤه على قيد الحياة أصبح يعنى نهايتنا جميعًا .. ألم تفهم هذا جيّدًا ؟!

قال (بولارد) فى صرامة غاضبة :

ـ تذكَّر يا مستر (X) أننى لست من أقام هذا الحصن المنيع ، ولا من زوَّده بتلك التكنولوجيا المعقَّدة ، التى بدت أشبه بخرقة بالية ، أمام خدعة سخيفة من الرجل ، الذى تصفه بأنه أخطر ضابط مخابرات فى العالم ، والذى لم أفهم بعد لماذا بذلت كل هذا الجهد لإنقاذ حياته ، ما دام بهذه الخطورة ، التى تتحدَّث عنها ؟!

أجابه الصوت الآلى ، بنفس النبرة الغاضبة :

ـ كل هذا ليس من شأنك يا جنرال .. لقد أسندت إليك مهمة مباشرة ومحدودة ، ومنحتك كل ما طلبت من مال وعتاد ، مكنَّاك من استئجار أفضل مرتزقة ، فى العالم أجمع ، وكل هذا لحراسة رجل واحد ، ومنعه من مغادرة وكرنا السرّى ، وعلى الرغم من هذا فقد فشلت فشلاً ذريعًا ، ووضعتنا جميعًا فى مأزق بالغ الخطورة .

كان من الواضح أن صاحب الصوت قد استخدم برنامجًا خاصًا ، عبر شبكة الإنترنت ، ليغيِّر من نبرات وترددات صوته الأصلى ، وليمنحه ذلك التردُّد

الآلى ، الذى استفز مشاعر الجنرال (بولارد) ، فى ذلك الموقف بالذات ، فقال فى خشونة :

ـ الأمر لم يبلغ مرحلة المأزق بعد .. رجلك الأسطورى هذا لم يتجاوز مرحلة النقاهة بعد ، وعلاجه الطبى لم يكتمل كما ينبغى ، ثم إن رجالى قد أصابوه ببعض الرصاصات ، وخروجه من هنا حتَّم تخليه عن كل أسلحته ، ولو أنه أظهر بعض النشاط المفرط لعدة دقائق ، فهذا لا يعنى أنه قادر على مواصلة هذا إلى الأبد .

قال الصوت الآلى الغاضب :

ـ الرجل أخطر مما تتصوَّر بكثير .

هتف (بولارد) فى صرامة عصبية ، أراد أن يضفى عليها لمحة من السخرية :

ـ دون سلاح ، وبكل إصاباته ، داخل أدغال يجهل كل شىء عنها ، وأمام كل من تبقَّى من رجالى ، بكل عتادهم وقوتهم ، وتحت قيادتى شخصيًا ؟! الواقع أنك تبالغ كثيرًا يا سيِّد (X) .

أجابه الصوت الآلى :

ـ بل أنت من يتهاون أكثر مما ينبغى يا جنرال .

هتف (بولارد) فى غضب :

ـ سنرى يا مستر (X) .. لقد بدأت المطاردة بالفعل .. دستة من رجالى يمشطون الأدغال ، التى يحفظونها عن ظهر قلب ، والهليوكوبتر تفتش كل شبر منها ، والرجال يستخدمون الأسلحة الحديثة جدًّا ، التى كنا ندخرها لمناسبات كهذه .. كل مدافعهم مزوَّدة بخزانة رصاصات مزدوجة ، وقاذف صواريخ ، وقاذفة لهب بعيدة المدى ، وكل سلاح منها يعمل ببصمة حامله وحدها(*)، وهذا يعنى أنه ، حتى ولو نجح فى الاستيلاء على بعضها ، فلن يمكنه الاستفادة منها قط ..

كرَّر الصوت الآلى فى غضب :

ـ ما زلت أؤكِّد أن الرجل أخطر مما تتصوَّر بكثير يا جنرال .

(*) نظام متطوِّر للغاية للأسلحة الشخصية ، حيث يتم تزويد كل سلاح بنظام أمنى خاص ، يسجِّل بصمة صاحبه ، بحيث لا يعمل إلا بعد تعرُّفها ، وبدونها يصبح مجرَّد قطعة من الحديد البارد .

شدَّ (بولارد) قامته ، فى اعتداد غاضب ، ورفع مدفعه الحديث للغاية ، وهو يقول بكل صرامة الدنيا :

ـ سنرى يا سيِّد (X) .. سنرى .

ثم أشار بيده ، مضيفًا فى تحدٍّ :

ـ سينتهى هذا الأمر كله قبل الفجر .

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ هذا وعد .

قالها ، واندفع يلحق برجاله ، لتبدأ المطاردة .. أخطر مطاردة فى حياة (أدهم صبرى) .. على الإطلاق .



٥ - أدغال الموت ..

« الوقت يمضى ببطء مستفز .. »

نطقت (منى) العبارة فى عصبية ، وهى تجلس داخل السيارة ، التى يقودها (بترو) ، فى طريق (كومانا) ، فغمغمت (جيهان) ، دون أن تحاول إخفاء توترها :

- لقد اقتربنا من (كومانا) .

وتثاءبت (نادية) ، مضيفة :

- أمامنا نصف الساعة على الأكثر .

هزَّت (منى) رأسها فى توتر ، قائلة :

- كان ينبغى أن نعتمد على وسيلة أكثر سرعة .

سألتها (نادية) فى استرخاء عجيب :

- مثل ماذا ؟!

أجابت فى عصبية :

- هليوكوبتر .

هزَّت (نادية) رأسها هذه المرَّة ، وهى تقول :

- وهل تتصوَّرين أن الحصول على هليوكوبتر

للإيجار ، بعد منتصف الليل ، فى دولة أجنبية ، هو أمر سهل المنال ؟!

هتفت محنقة :

- كان ينبغى أن نسرقها ، لو اقتضى الأمر .

قالت (نادية) ، فى صرامة :

- ثم ندخل دائرة صراع جديدة ، مع الشرطة والقوات الجوية الفنزويلية ، دون مبررٍ منطقى .

قالت (منى) فى حنق :

- ألا تبدو لك حياة (أدهم) مبرِّرًا منطقيًا ؟!

أجابتها (نادية) فى حدة :

- (أدهم صبرى) مفقود ، من أكثر من أسبوع كامل ، فلماذا يحيق به الخطر ، فى الساعات القليلة ، التى نقطع فيها الطريق ، من (كراكاس) إلى (كومانا) ؟!

ارتجف صوت (منى) ، وهى تقول :

- إنه يواجه خطرًا داهمًا .

هتفت بها (نادية) :

- ومن أدراك ؟!

قبل أن تنفرج شفتا (منى) ، أجابت (جيهان) فى صوت خافت :

ـ قلبها .

نظرت إليها (نادية) فى استنكار ، مكررة :

ـ قلبها ؟!

ثم أطلقت ضحكة ساخرة عصبية ، وهى تستطرد :

ـ أهذا قول فتاة مخابرات محترفة ؟!

أجابتها (منى) فى عصبية :

ـ لن يمكنك فهم هذا قط .

غمغمت (جيهان) :

ـ بالتأكيد .. إنها تختلف عنا .

قالت (نادية) فى سخرية :

ـ عنكما ؟!

أشارت (جيهان) إلى صدرها ، مجيبة :

ـ ليس لديك السبب نفسه ، الذى يخفق له قلبانا .

لم ترق لـ (منى) صيغة المثنى ، فى عبارة (جيهان) ، فى حين انعقد حاجبا (نادية) فى شدّة ، وبدت أكثر عصبية ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد ليس لدى .

ثم تراجعت فى مقعدها ، مستطردة بنفس العصبية :

ـ أنا محترفة .

كنّ تتبادلن الحديث باللغة العربية ، وعلى الرغم من هذا فقد ارتسمت على شفتى (بترو) ابتسامة ، جعلت (نادية) تقول فى حدة بالإسبانية :

ـ لماذا تبتسم بهذه البلاهة ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ حيث نشأت ، يقولون : إن النساء لا تتشاجرن إلا من أجل هدف واحد .

قالت فى عصبية :

ـ وما هو أيها العبقرى ؟!

أجاب بنفس الهدوء :

ـ الرجل .

احتقن وجهها بشدّة ، وانعقد حاجبا (منى) ، فى حين ارتسمت على شفتى (جيهان) ابتسامة خبيثة ، وهى تقول :

ـ كنت أظنك تجهلين الإسبانية .

أجابتها (نادية) فى عصبية :

ـ من الحماقة أن يُبدى المرء كل ما يعلمه .

قالت (جيهان) بنفس الخبث :

ـ أو ما يشعر به .

احتقن وجهها أكثر ، فأشاحت به ، متمتمة فى عصبية أكثر :

ـ يا للسخافة !

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى التقطت آذانهن هدير مروحة هليوكوبتر ، خفق معه قلب (منى) ، وهى تهتف :

ـ ربّاه ! بعضهم يسعى لبلوغ (كوماتا) قبلنا .

مطّت (نادية) شفتيها ، قائلة :

ـ يا للسخافة ! هذا ما يطلقون عليه اسم الوسواس القهرى .. هل تتصوّرين أن العالم كله يدور فى فلك (أدهم صبرى) هذا ؟ أو أن ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، انهالت الرصاصات فجأة من الهليوكوبتر ..

كالمطر ..

★ ★ ★

« السيّد (X) يفضّل إلقاء القبض على ذلك المصرى حيًّا .. »

ألقى الجنرال (بولارد) العبارة على فريقه فى صرامة ، وأدار عينيه فى وجوههم وأسلحتهم ، قبل أن يضيف فى شراسة :

ـ وأنا أريده ممزّقًا ، حتى لتعجز أمه نفسها عن تعرُّفه .

لم يبد أى انفعال على وجوه الرجال ، باستثناء تلك الوحشية الحيوانية ، التى تبدو وكأنها محفورة فى وجوههم الحمراء ، وعيونهم الضيقة الزرقاء ، وشعرهم الأصفر بلون الذهب ، وعضلاتهم البارزة على نحو يفوق الطبيعى ، حتى بالنسبة لأبطال رياضة كمال الأجسام ..

وعلى الرغم من ذلك الجمود ، تابع (بولارد) بلهجته الشرسة الصارمة :

ـ قائد الهليوكوبتر يظن أنه قد رصده فى البقعة (س ٤) ؛ لذا فسنقوم بمحاصرة المنطقة (س) كلها .. سنحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، ونتحرّك فى تشكيل منظمّ ، مع فحص شامل لكل منطقة نمرّ بها .. أطلقوا النار لمجرّد الشك .. اقتلوا كل ما يتحرّك

بلا استثناء .. احرقوا .. انسفوا .. المهم ألا يتبقَّى فيها ما ينبض بالحياة سوانا ، قبل أن ينبلج الفجر .. هل تفهمون ؟!

ظلَّت وجوههم جامدة قاسية ، وكأنهم لم يسمعوا حرفًا واحدًا مما قال ..

أو لم يفهموه ..

ولكنه كان يعلم أنهم يفهمون ..

ويدركون ..

بغريزتهم الوحشية على الأقل ..

لذا فقد رفع يده بإشارة البدء ، فأسدل كل منهم على عينيه منظارًا خاصًا للرؤية الليلية ..

وانطلقوا كالكلاب المسعورة ..

ولثوان ، وقف هو يراقب انتشارهم المنظَّم ، قبل أن يسدل منظاره الخاص على عينيه بدوره ، وهو يغمغم فى مقت :

ـ سنرى الآن هل أنت بالخطورة ، التى يتصوَّرها السيد (X) ، أم أنك مجرَّد برميل أجوف كبير .

نطقها ، وحمل سلاحه الخاص ، المزوَّد بنظم الأمن التكنولوجية ، وهو يتجه إلى المنطقة (س) .

نفس المنطقة التى تضمّ (أدهم) .

(أدهم صبرى) ، الذى اختفى وسط كومة من الأغصان المتشابكة ، حتى مرَّت الهليوكوبتر، فغمغم :

ـ من الواضح أن المطاردة قد بدأت .. لقد ذاق الأوغاد طعم الدم ، ولن يهدأ لهم بال ، حتى يظفروا بالفريسة ، ويمزقوها إربًا .

ثم تحرَّك نحو شجرة ضخمة قريبة ، وهو يضيف بلمسة ساخرة :

ـ والمفترض أننى الفريسة .

كان يشعر بآلام مبرحة ، وإرهاق بلا حدود ، وعلى الرغم من هذا فقد راح يتسلَّقها فى خفة معقولة ، حتى بلغ قمتها ، فاستقرّ فوق غصن ضخم ، وأسند ظهره إلى جذع الشجرة ، ثم راح يجذب أحد الأغصان القريبة منه ، حتى انتزعه من قاعدته ، وغمغم :



كان يشعر بآلام مبرحة ، وإرهاق بلا حدود ، وعلى الرغم من هذا فقد راح يتسلَّقها فى خفة معقولة ، حتى بلغ قمتها ..

ـ المؤسف أنك لا تمتلك خنجرًا حتى يا (أدهم) .

ثم استعاد ابتسامته الساخرة ، مضيفًا :

ـ والمفترض أن تواجه جيشًا من الأوغاد المسلحين ، وأنت لا تمتلك سوى غصن بسيط .

عجيب هو هذا الرجل حقًّا ..

لقد احتمل ، خلال الساعات القليلة الماضية أهوالاً ومصاعب ، لا يطيقها فريق من المحترفين ، وجسده مثخن بجراح تكفى لإسقاط جواد قوى ، والخطر يحيط به من كل جانب ، وشبح الموت يلتفّ حوله ، ويتغلغل فى أعماقه ، ثم يجد فى نفسه بعد كل هذا ، القدرة على الابتسام والسخرية ..

ولكنه قالها من قبل ..

كل امرؤ له أسلوبه ، فى مواجهة الخطر ..

وفى التغلّب على مخاوفه ..

وهذا هو أسلوبه الخاص ..

أن يسخر من الخطر ..

ويتحدَّاه ..

بل ويهاجمه بكل قوته ..

لو اقتضى الأمر ..

وفى هدوء حازم ، وعلى الرغم من كل آلامه ، أمسك غصن الشجرة من منتصفه ، وثنى طرفه بكل قوته ..

حتى انكسر ..

وعندئذ ، أصبح للغصن طرف حاد ..

إلى حد ما ..

وكان هذا هو السلاح الوحيد الذى يمتلكه ..

فى موقفه هذا ..

أما خصومه من المرتزقة المحترفين .. فقد كانوا يحيطون به بالفعل ..

بالمنطقة كلها ..

ودون أن يصدر عنهم أدنى صوت ، راح كل منهم يتحرَّك فى خفة حذرة متحفزة ، نحو مركز دائرة وهمية كبيرة ..

وعلى نحو منظم للغاية ..

ومع مناظير الرؤية الليلية ، كانوا يمتلكون مزية أخرى ، تتفوَّق كثيرًا على (أدهم) ..

كانوا يرون ما لا يراه ..

وبعضهم يقترب منه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولأنهم محترفون ، كانوا يتحركون فى تشكيلات ثنائية ..

كل اثنين معًا ..

كل منهما يرصد ما حوله ..

ويحمى ظهر زميله ، فى الوقت ذاته ..

أما (أدهم) ، فقد كان الظلام المحيط به ، وسط الأدغال الكثيفة ، يمنعه تمامًا من الرؤية ، وخاصة من موقعه هذا ..

لذا فقد أغلق عينيه ..

وأرهف سمعه(*) ..

(*) عندما يختزل الإنسان أحد حواسه ، تعمل الحواس الأخرى بكفاءة أكبر ، وهذه النظرية تساعد العميان على تحديد ما حولهم بالسمع واللمس .. وبالشم أيضًا ، فى بعض الأحيان ..

أما أطرافه ، فقد تجمَّدت كلها ، دون أن تصدر عنه أدنى حركة ، حتى لقد بدا ، فى موقعه هذا ، أشبه بتمثال من البرونز(*) ..

أو بنسر من النسور الضخمة المتربِّصة(**) ..

كان الوقت يمضى بالنسبة له أشبه بالدهر ..

وقلبه ما زال يخفق بقوة ، من أثر إجهاد ، راح يخفَّ تدريجيًّا ، و ...

وفجأة ، التقطت أذناه المدربتان صوتًا خافتًا للغاية ..

(*) البرونز : سبيكة من النحاس والقصدير ، أو من النحاس وفلزات أخرى ، وتضاف إليها الفضة ، أو الألومنيوم ، أو الخارصين ، أو الرصاص ، لزيادة بريقها أو صلابتها ، يستخدم لصنع بعض الأسلحة والقطع الفنية ، ولقد تم استخدامه منذ أيام قدماء المصريين ..

(**) النسر : طائر جارح ، يستوطن المناطق المعتدلة والحارة ، ومعظم غذائه من الجيف ، والنسور نوعان ، نسور الدنيا القديمة ، وهى أشبه بالصقور ، ونسور الدنيا الجديدة مثل الكندور ، والأنواع الموجودة منها فى (مصر) هى نسور الدنيا القديمة وحدها ..

صوت غصن جاف ينكسر ..

وعلى الفور ، انتبهت حواسه كلها ..

ودون أن يفتح عينيه ، راحت أذناه تحدِّدان موقع الصوت ..

وبمنتهى الدقة ..

وعندما أيقن من الموضع ، فتح عينيه ، وحاول أن يرصد بهما ما حوله ..

كان الظلام منتشرًا ، إلا من الضوء الخافت للغاية ، الذى يأتى من النجوم ، ومن قمر اختفى فى الأفق ، خلف مئات الأشجار والأغصان ..

وعلى ذلك الضوء الخافت للغاية ، رصدت عيناه جسدًا يتحرَّك فى حذر بالغ ..

ويقترب من موضعه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

كان يمكنه أن يواصل صمته وسكونه ، ويلتصق بجذع الشجرة ، وسط الأغصان المتشابكة ، حتى يبتعد ذلك المرتزق ..

ولكن هذه لم تكن طبيعته على الإطلاق ..

إنه يدرك كمحترف أيضًا ، أن الخطأ ، كل الخطأ ، فى أن يتوارى المرء من المواجهة ..

وأن (نابليون بونابرت) كان محقًّا تمامًا ، عندما قال : إن الهجوم خير وسيلة للدفاع ..

لذا فقد اتخذ قراره فى سرعة مذهلة ..

ووثب ..

جاءت انقضاضته مباغتة تمامًا ، بالنسبة للجندى الضخم ، الذى فوجئ به أمامه ، فتراجع بقفزة خلفية سريعة ، تليق بمحترف مثله ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى بسرعة البرق ..

ولكن (أدهم) كان الأسرع ، حتى مع كل جراحه وإصاباته ..

فقبل حتى أن يكمل المرتزق رفع فوهة مدفعه ، وعلى الرغم من الضوء الخافت للغاية ، وثب (أدهم) ، وركل المدفع من يده ، ثم دار حول نفسه بخفة لا تتناسب قط مع حالته ، وركله فى أنفه ركلة كالقنبلة ..

وعلى الرغم من ضخامة الرجل وقوته ، ألقت به الضربة إلى الخلف ثلاثة أمتار على الأقل ..

وتحرَّك (أدهم) ليواصل هجومه ..

إلا أن أذنيه التقطتا صوتًا آخر من خلفه ..

صوت مدفع آلى ، يجذب حامله إبرته ، استعدادًا لإطلاق النار ..

وبسرعته المعهودة ، استدار (أدهم) ، يواجه ذلك الخصم الجديد ..

ثم وثب يلتقط المدفع الآلى ، الذى سقط من الآخر ..

ومع خفته وبراعته ، التقط المدفع بالفعل ، ودار به حول نفسه أرضًا ، ثم رفع فوهته ، ليطلق النار على خصمه الآخر ..

ولكن المدفع الإليكترونى الحديث رفض الاستجابة ..

كل ما حدث هو أن تألَّق مصباح أحمر بجانبه ، معلنًا أن حامله ليس صاحب البصمة ، التى تم ترجمته للتعامل معها ..

أما مدفع الرجل الآخر ، فقد استجاب تمامًا لصاحبه ، الذى ضغط الزناد بكل صرامة ..

وانطلقت النيران فى الأدغال ..

أدغال الموت ..

★ ★ ★

حلَّقت طائرة صغيرة ، فوق جبال (بروكس) ، فى شمال (الاسكا)(*)، وانخفض بها قائدها فى مهارة ، ليتفادى أجهزة الرادار وخطوط الدفاع الجوى ، وهو يتجه نحو المناطق الجرداء المقفرة ، قبل أن يقول عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ من (إكس ـ ١) إلى القاعدة .. لقد دخلنا المجال الجوى ، ونطلب الإذن بالهبوط .

(★) ألاسكا : ولاية شمال غرب أمريكا الشمالية ، انضمت إليها عام ١٩٥٩م ، لتصبح الولاية التاسعة والأربعين ، تفصل جبال (بروكس) المناطق الشمالية الجرداء عن الأراضى الداخلية المأهولة ، أهم مواردها الأسماك والمعادن ، والفراء .. ولقد كانت جزءًا من (روسيا) ، حتى عام ١٨٦٧م ، حتى ابتاعتها منها (أمريكا) ، وظهرت أهميتها البالغة فى الحرب العالمية الثانية .

أتاه صوت حازم صارم ، يسأله :

ـ ما كلمة السر يا (إكس ـ ١) ؟!

أجابه الطيَّار ، وهو ينخفض أكثر :

ـ الجليد يحترق .

مضت بضع لحظات من الصمت ، قبل أن يأتيه الجواب :

ـ نمنحك الإذن بالهبوط يا (إكس ـ ١) .

ومع آخر حروف العبارة ، تحرَّك جزء من الجليد ، الممتدّ إلى ما لا نهاية ، وارتفع إلى أعلى فى بطء ، كاشفًا مساحة ضخمة هائلة ، عبارة عن ممر هبوط كامل ، بقاعدته الصلبة ، وصفى المصابيح على جانبيه ..

وحتى برج المراقبة ..

وبنفس البراعة ، اتجه الطيَّار نحو تلك الفجوة ، وهبط فوق الممر الطويل ، وراح ينطلق فوقه لمائتى متر تقريبًا ، قبل أن يتوقَّف ، ويقول فى ثقة :

ـ (إكس ـ ١) أكمل عملية الهبوط .

عاد ذلك الجزء من الجليد ينخفض فى بطء ، حتى أخفى ممر الهبوط تمامًا ، فى نفس الوقت الذى برز فيه صف من الجنود ، من ممر جانبى ، واتجه خلف قائده إلى الطائرة ، لينقسم عندها إلى صفين ، وقفا على نحو عسكرى ثابت ، وقائدهما يقول فى حزم صارم :

ـ انتباه .

شدَ الجنود قوائمهم ، واتخذوا وقفة عسكرية صارمة ، عندما انفتح باب الطائرة ، وظهر على عتبته الجنرال (بريماكوف) ، وهو يبتسم فى ارتياح ، قائلاً :

ـ أخيرًا .. هذا هو المناخ الذى أفضّله .

هبط فى سلم الطائرة ، فأدَّى الجنود التحية العسكرية ، فى قوة واحترام ، فى حين اتجه قائدهم إلى الجنرال ، فى خطوات حاسمة ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ مرحبًا بك فى القاعدة يا سيِّدى الجنرال .

تألَّقت عينا (بريماكوف) ، وهو يسير عاقدًا كفيه خلف ظهره ، وقائلاً :

ـ عظيم .. كل شىء هنا عظيم .. من الواضح أننى لم أخطئ الاختيار .

غمغم قائد الجنود ، وهو يتبعه فى احترام :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى الجنرال .. بالتأكيد .

سأله الجنرال ، وهو يتجه نحو الممر ، الذى أتى منه الجنود :

ـ هل الرفيق (X) .. أعنى السيِّد (X) هنا ؟!

هزَّ قائد الجنود رأسه ، قائلاً :

ـ السيِّد (X) لم يأت هنا قط يا جنرال .

توقَّف (بريماكوف) فى دهشة ، والتفت ، قائلاً :

ـ لم يأت هنا .. ماذا تعنى ؟!

أجابه قائد الجنود فى احترام شديد :

ـ إننا نتلقَّى أوامره ، عبر جهاز اتصال خاص جدًّا يا جنرال .

سأله الجنرال فى دهشة أكثر :

ـ من يدير الأمور هنا إذن ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

ـ الجنرال (شامبليون) يا سيِّدى الجنرال .

ارتفع حاجبا (بريماكوف) فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

- الجنرال (شامبليون) ؟! (موريس شامبليون) .. ذلك الجنرال الفرنسى ، الذى اختفى ، بعد أن باع أسرار الميراج الجديدة .

ابتسم الجندى ، مجيبًا :

- هو نفسه يا سيِّدى .

انعقد حاجبا (بريماكوف) فى شدَّة ، وهو يقول فى عصبية :

- أى قول هذا ؟! هل سأعمل أنا (يورى بريماكوف) ، تحت إمرة شخص سخيف ، مثل (شامبليون) ؟!

أتاه صوت يقول بالروسية ، وبلكنة فرنسية واضحة :

- الأمور هنا لا تسير بهذا الأسلوب يا (بريماكوف) .

التفت (بريماكوف) بحركة حادة ، إلى الرجل الطويل الرفيع ، الذى ظهر عند مدخل الممر ، وهو يبتسم ابتسامة صفراء متابعًا :

- الأمر هنا أشبه بالعائلة .

ابتسم (بريماكوف) فى سخرية ، وهو يقول :

- هذا يجعلنا عائلة من الذئاب يا عزيزى (شامبليون) .

ثم تطلَّع إلى الزى الرسمى الأسود ، الذى يرتديه الفرنسى ، والذى يحمل الجانب الأيسر من صدره دائرة بيضاء ، يتوسَّطها حرف (X) أحمر ، وأضاف :

- وخاصة مع هذا الزى النازى السخيف .

هزَّ (شامبليون) رأسه ، قائلاً فى خبث :

- هذا الزى النازى السخيف سيحكم العالم كله ، بعد عام واحد من الآن أيها الروس .

التقى حاجبا (بريماكوف) ، وهو يقول فى صرامة :

- أتعشَّم هذا أيها الفرنسى .

اتسعت ابتسامة (شامبليون) الخبيثة ، وهو يقول :

- المهم الآن أننا سعداء بقدومك ، فدورك فى بناء العالم الجديد كان ينتظر وصولك فحسب .

سأله (بريماكوف) فى اهتمام ، وهو يسير إلى جواره ، عبر الممر الطويل :

- وما هذا الدور بالضبط ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ غواصتكم النووية فى انتظارك ، وعلى متنها طاقم كامل .

تألقت عينا الروسى ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

أجابه الفرنسى :

ـ حقًا يا جنرال .. السيد (X) أسند إليك منصب قائد القوات البحرية ، فى جيشه الوليد ، وكلفك مهمة ، نعتبرها أخطر مهام المرحلة الحالية ، وأكثرها أهمية ، لبناء العالم الجديد .

سأله (بريماكوف) فى لهفة :

ـ هل سنهاجم دولة أخرى ؟!

ابتسم الفرنسى ، وهو يقول :

ـ هذا سيأتى فى المرحلة الثانية .

سأله (بريماكوف) ، بلهجة توحى بخيبة الأمل :

ـ وماذا عن المرحلة الأولى ؟!

توقف الفرنسى ، والتفت إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ إنها مرحلة التمويل .. مرحلة صنع القاعدة المالية ، التى ستدعم انطلاقتنا ، وتمنحنا أكبر قوة فى العصر الحديث ..

ثم مال نحوه مستطردًا :

ـ المال .

سأله (بريماكوف) فى حيرة شديدة :

ـ وكيف يمكن لغواصة نووية أن تحصل على التمويل ؟!

استعاد الفرنسى ابتسامته الخبيثة الغامضة ، وهو يقول :

ـ إنها أفضل وسيلة للحصول على التمويل .

هتف (بريماكوف) ، وقد تضاعفت دهشته :

ـ كيف ؟!

التقط الفرنسى نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ سأخبرك كيف ؟!

وراح يشرح له فكرة السيد (X) ، عن الحصول على التمويل اللازم ، لبناء عالمه الوهمى الجديد ..

وراحت عينا (بريماكوف) تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

فالفكرة كانت عجيبة ومدهشة ، و ...

ومجنونة ..

تمامًا ..

* * *

لم يكد دوى الرصاصات يتردّد ، وسط أدغال (كومانا) ، حتى توقّف كل رجال الجنرال (بولارد) دفعةً واحدة ، ثم انفصل كل منهم عن رفيقه ، فى تنسيق مدهش ، بحيث بقى واحد من كل رجلين فى موقعه ، واندفع الثانى نحو منطقة إطلاق النار ..

كل هذا ، دون أن ينطق أحدهم بحرف واحد ..

حتى (بولارد) نفسه ..

الشىء الوحيد ، الذى فعله هذا الأخير ، هو أن أدار مؤشرًا فى جانب منظاره الليلى الخاص ، ليزيد من حدّة إبصاره ، وانطلق يعدو نحو مصدر الطلقات ، وهو يجذب إبرة مدفعه الآلى ، ويعد كل أسلحته للانطلاق ..

وفى وقت واحد تقريبًا ، وصل سبعة رجال إلى الموقع ..

وتوقفوا فى دهشة ..

وسخط ..

وغضب ..

فأمامهم تمامًا ، كان أحد زملائهم صريعًا ، وقد اخترق غصن ذو طرف حاد عنقه ، فى حين سقط آخر فاقد الوعى ، وقد تهشّم أنفه وفكه ، وغرقت ملامحه كلها فى بركة من الدم ..

وفى ثورة ، أشار (بولارد) بيده لاثنين من رجاله ، ليفحصا الرجلين ، فأسرعا ينفذان الأمر ، فى حين أدار هو عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

- يا له من رجل .. لقد أدرك طبيعة المدفعين ، ولم يحاول الاستيلاء على أحدهما ، لعدم جدوى ذلك ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هزم اثنين من عمالقتى المسلحين .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتمتم فى غضب هادر :

- يبدو أنه أخطر مما كنت أتصوّر بالفعل ، كما قال السيّد (X) .

حنى رأسه ، ليعيد فحص المنطقة جيّدًا ، قبل أن يتابع :

- لقد وثب من تلك الشجرة هناك ، واشتبك معهما على الفور ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى بقعة صغيرة ،

قبل أن ينحنى نحوها ، ويتحسَّسها بأصابعه ، ثم يرفع يده إلى أنفه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ لقد أصيب .. إنها دماء طازجة دافئة .

ثم رفع عينيه ، مضيفًا فى شراسة :

ـ إنه لم يبتعد كثيرًا .

مع آخر حروف كلماته ، أشار إليه الرجلان ، اللذان قاما بفحص زميليهما ، ثم لوَّح أحدهما بسبَّابته نحو ساق أحدهما ، ثم إلى رأسه ، فزمجر الجنرال (بولارد) فى غضب ، وهو يقول :

ـ إذن فقد استولى على خنجر واحد ، وعلى أكبر نقطة كانت تمنحنا تفوقًا عليه ..

وعضَّ شفتيه ، مضيفًا فى مقت هائل :

ـ على منظار الرؤية الليلية .

ثم عاد يطلق زمجرة أكثر وحشية وشراسة ، وهو يتابع :

ـ النقطة الإيجابية الوحيدة ، فى كل هذا ، هو أنه

مازال هنا حتمًا ، وأنه داخل المنطقة (س) ، التى تحاصرها بطاقمنا كله .

قالها ، وانتزع جهاز الاتصال من جيبه ، وقال فى صرامة :

ـ من القائد إلى النسر .. الفريسة داخل المنطقة (س) .. افحص المكان كله ، باستخدام الأشعة دون الحمراء وحدها .. لا نريد أية أضواء .

أتاه الجواب على الفور :

ـ عُلِمْ ، وسينفَّذ فورًا .

ومع نهاية الكلمات ، بدا هدير الهليوكوبتر واضحًا ، وهى تعبر المنطقة ، وتحوم حولها مرتين ، قبل أن يأتى صوت قائدها ، قائلاً :

ـ تم رصد الهدف .

سرت ارتجافة فى جسد (بولارد) ، من فرط النشوة والانفعال ، وهو يسأل :

ـ أين ؟!

أجابه قائد الهليوكوبتر :

- على مسافة مائة متر منكم فحسب يا جنرال .. عند الساعة الحادية عشرة(*) ..

سأله (بولارد) ، وهو يرفع مدفعه فى تحفز :

- هل تراه فى وضوح ؟!

أجابه قائد الهليوكوبتر :

- إنه يختفى وسط الأغصان الكثيفة ، ولكننى أستطيع تمييزه .

تمتم (بولارد) فى شراسة :

- عظيم .

ثم أشار إلى رجاله ، فتحركوا جميعًا فى سرعة ، نحو الهدف الذى أشار إليه ، والتفوا حوله فى نظام وخفة ..

(*) تحديد الموقع نسبة إلى عقارب الساعة ، أمر شائع الاستخدام ، فى المناورات الحربية ، والجوية ، وهو نظام يعتمد على وجود الباحث فى مركز ساعة وهمية ، ووجود الهدف فى اتجاه أحد أرقامها .

ومن موقعه ، لمح (بولارد) ما أشار إليه قائد الهليوكوبتر ..

رجل يختفى خلف جذع الشجرة ، ويستند بظهره إليه ، وسط بعض الأغصان الكثيفة ، التى تجاورها مباشرة ..

وتألقت عينا (بولارد) ، حتى كاد بريقها يضىء الغابة المظلمة ، وهو يشير إلى رجاله فى حزم ..

وفى لحظة واحدة ..

وتناسق مدهش ..

رفع كل منهم فوهة مدفعه المتعدد الاستخدامات ..

وهنا ، خفض (بولارد) يده ..

وقفز الجميع نحو الهدف ..

وعادت الرصاصات تدوى فى عنف ..

وسط أدغال الموت ..

وتفجرت الدماء ..

بكل غزارة .

* * *

انقضت الهليوكوبتر مرة أخرى على السيارة ، وراح الراكب الخلفى فيها يطلق النيران عليها فى غزارة ..

٦ - الفريسة ..

لم تكد الرصاصات تنهمر ، على السيارة الكبيرة ، فى طريق (كومانا) ، حتى انحرف بها (بترو) بطريقة آلية ، فتجاوز الطريق الرئيسى ، ووثب إلى الأرض غير المُمهَّدة خارجة ، و (جيهان) تصرخ :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟! من يمكن أن يهاجمنا على هذا النحو ؟!

انتزعت (نادية) مسدسها ، وهى تقول فى صرامة :

- بل قولى من يمكن أن يميِّز سيارتنا بالتحديد .

انقضت الهليوكوبتر مرة أخرى على السيارة ، وراح الراكب الخلفى فيها يطلق النيران عليها فى غزارة ، حتى إن بعضها اخترق سقفها ، وغاص فى أرضيتها ، بين قدمى (منى) تمامًا ، على الرغم من أن (بترو) قد زاد من سرعتها ، وراح ينطلق بها فى مسار متعرِّج للغاية ، على الطريق غير المُمهَّد ، وهو يهتف بالإسبانية :

ـ كيف تعرفونا ؟! كيف ؟!

استلّت (منى) مسدسها بدورها ، وهى تهتف :

ـ إنه ليس بالأمر العسير .

وحطّمت زجاج النافذة المجاورة لها ، لتدفع نصفها العلوى كله خارجها ، مستطردة فى حزم :

ـ لقد استأجرنا هذه السيارة ، ووكالة تأجير السيارات رأتنا جميعًا .

ثم رفعت فوهة مسدسها نحو الهليوكوبتر ، وضغطت زناده ، صائحة :

ـ ثلاث فتيات وزنجى ضخم .. هل يبدو البحث عسيرًا بعدها .

خرجت (نادية) بنصفها العلوى من السيارة بدورها ، وراحت تطلق النار على الهليوكوبتر أيضًا ، هاتفة :

ـ هذا يعنى أننا لم نتصرف بالحرص اللازم .

كانت (جيهان) تشعر بآلام مبرحة فى ظهرها ، والسيارة تتقافز على هذا النحو العنيف ، فوق الأرض غير المُمهدة ، ولكنها هتفت :

ـ لا بد وأن نراعى هذا ، فى المرة القادمة .

هتفت (نادية) فى سخرية ، وهى تواصل إطلاق النار فى غزارة :

ـ المرة القادمة ؟! كم يعجبنى تفاؤلك يا عزيزتى ..

تجاوزت الهليوكوبتر السيارة فى سرعة ، وعاد راكبها يمطرها برصاصاته ، حتى إن (منى) قد شعرت بإحداها تمرق على مسافة سنتيمتر واحد من أذنها اليمنى ، فى حين تردّد صوت ارتطام عشرات منها بحقيبة السيارة الخلفية ، وهشّمت بعضها زجاجها الخلفى ، قبل أن تتجاوز الهليوكوبتر السيارة ، ثم تستدير لمُواجهتها من الأمام ..

وبكل سرعته وقوته ، انحرف (بترو) بالسيارة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات المدفع الآلى ..

وفى هذه المرة ، شعرت (جيهان) برصاصة تخترق ساقها اليمنى ، فصرخت فى ألم ، فى حين مزّقت رصاصة ثانية طرف ذراع (منى) اليسرى ، وغاصت ثالثة فى فخذ (بترو) ، الذى صرخ :

- يبدو أننا لن ننجو من هذا قط .

انتزعت (نادية) خزانة مسدسها الفارغة ، وألقتها خلفها ، ودسّت خزانة جديدة محشوة ، وهى تهتف :

- لا تقل هذا قط .

ثم عادت تطلق الرصاصات نحو الهليوكوبتر ، مستطردة :

- إننى أكره روح اليأس هذه .

كان قائد الهليوكوبتر يقودها فى مهارة مدهشة ، وهو يتفادى الرصاصات ، وعلى الرغم من هذا فإن بعضها قد نجح فى إصابة جسم الطائرة ، فهتف بحامل المدفع الآلى ، فى توتر ملحوظ :

- إنهم يجيدون إطلاق النار يا أدون (دزرائيلى) .

انعقد حاجبا (يارون دزرائيلى) ، رجل (الموساد) العنيد ، وهو يقول بصرامته الباردة المعهودة :

- خطأ يا رجل .. قل إنهن يجدن التصويب ، فباستثناء سائقهن الزنجى البدين ، الأشبه بدب جبلى أحمق ، نحن نتعامل مع ثلاث نساء .

قال قائد الهليوكوبتر فى ضيق :

- الإصلاح اللغوى لن يصنع فارقًا يا أدون (دزرائيلى) .. إننى أخشى طلقة صائبة ، تنسف الطائرة معنا .

أجابه (يارون) بصرامته الباردة ، وهو يعيد تصويب مدفعه نحو السيارة :

- احرص على ألاّ يحدث هذا إذن .

قالها ، وعاد يطلق النار نحو السيارة فى غزارة .. وغضب ..

غضب لم يفارق عروقه ، منذ استعاد وعيه فى حجرة الفندق ، على يد أحد زملائه ، الذى سخر من هزيمته أمام فتيات المخابرات المصرية الثلاث ..

وهو نفس الغضب ، الذى دفعه إلى السعى خلفهم ، حتى كشف أمر السيارة المستأجرة ، واستعان بهليوكوبتر تخص سفارته ؛ للحاق بهن .. والانتقام منهن ..

ولقد أصابت رصاصاته مقدمة السيارة هذه المرة ،

وصنعت فيها عشرات الثقوب ، حتى إن (بترو) قد صرخ :

ـ لقد أصاب المبرِّد .. لن يمكننا الاستمرار .. السيارة ستشتعل .

هتفت (نادية) ، وهى تنتزع خزانة فارغة أخرى ، وتدس ثالثة جديدة فى مسدسها :

ـ ليس قبل أن أظفر بهذا الوغد الـ ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، اخترقت إحدى رصاصات (يارون) صدرها ، فانتزعتها من نافذة السيارة ، وألقت بها خارجها ، لترتطم بالأرض فى عنف ، وتتدحرج فوقها على نحو مخيف ، فصرخت (جيهان) ، بكل ذعر الدنيا :

ـ (نادية) ؟!

ومع صرختها ، اخترقت رصاصات أخرى زجاج السيارة الأمامى ..

وانطلقت صرخة ألم من (بترو) ..

وانحرف بالسيارة فى عنف وحدة ..

وصرخت (جيهان) :

ـ احترس .

وقبل حتى أن تكتمل صرختها ، كانت السيارة تثب عاليًا ، على نحو مخيف رهيب ..

ثم ترتطم بالأرض ..

وتنقلب فى عنف ..

ثم تتدحرج ككرة من المعدن ، بدوى هائل ، قبل أن ترتطم بشجرة ضخمة ، وتتوقف تمامًا ..

ومن موقعه ، تألقت عينا (يارون) ، وقال فى ظفر :

ـ لقد فعلتها .

ابتعد الطيَّار بالهليوكوبتر ، قائلاً فى غيظ :

ـ فعلناها يا أدون (رزرانيلى) .

صاح به (يارون) فى صرامة :

ـ إلى أين ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ ألم تنته من مهمتك ؟! هناك إصابات فى جسم الهليوكوبتر ، تحتاج إلى فحصها ، ثم إن الشرطة ستهرع إلى هنا حتمًا ، فليس من المنطقى أن نشن حربًا صغيرة ، ثم ...

قاطعه (يارون) فى صرامة :

ـ عد إلى حيث سقطت السيارة .

هتف الرجل معترضًا ومستنكرًا :

ـ لماذا ؟! لقد انتصرت عليهن بالفعل .

أدار (يارون) فوهة مدفعه إليه ، صائحًا :

ـ قلت : عد .

عضَّ الطيار شفتيه فى حنق ، ودار بالهليوكوبتر ، عائدًا إلى حيث سقطت السيارة ، ولم يكد يبلغها ، حتى قال (يارون) فى تشف واضح :

ـ الوداع يا فتيات المخابرات المصرية .. تذكرن فى الجحيم أن (يارون) ينتصر دائمًا فى النهاية .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت رصاصات مدفعه نحو السيارة ..

ودوى الانفجار ..

وتألقت عينا الإسرائيلى بتشف أكثر .. وأكثر ..

* * *

تململ وزير الدفاع الأمريكى فى وقفته ، فى المطار الحربى الخاص ، بالقرب من (واشنطن) ، وتابع ببصره طائرة تحمل شعار الخطوط الجوية الروسية ، وهى تهبط فى المطار ، وغمغم فى عصبية :

ـ حانت لحظات التوتر الكبرى .

توقفت الطائرة الروسية ، وانفتح بابها ، وهبط منها رجل روسى عريض ، ممتلىء الجسد فى قوة ، له ملامح قوقازية واضحة ، انحفرت فيها صرامة عجيبة ، بدت وكأنها جزء من تكوين صاحبها ، الذى اعتدل بوقفة عسكرية ثابتة ، عندما اتجه نحوه وزير الدفاع الأمريكى ، قائلاً بابتسامة مرغمة :

ـ مرحبًا بك فى الولايات المتحدة الأمريكية ، يا سيادة وزير الدفاع الروسى .. لقد أسعدنا كثيرًا أن نتلقى رسالتك ، التى أخبرتنا فيها بقدومك العاجل ، و ...

قاطعه الروسى فى صرامة :

ـ لا داعى للافتعال والمبالغة يا نظيرى الأمريكى ، ودعنا ندخل إلى موضوع الزيارة مباشرة .

تنحنح الأمريكى فى ارتباك ، قائلاً :

ـ لا يمكننا هذا يا عزيزى .. إننا فى الهواء الطلق .

قال الروسى بصرامته العسكرية :

ـ ولكننا داخل قاعدة عسكرية .

هزّ الأمريكى كتفيه ، قائلاً :

ـ التطوّر التكنولوجى جعل أجهزة التنصّت صغيرة ودقيقة ، إلى حد لا يمكن تصوّره يا جنرال ، بل هناك أجهزة بعيدة المدى ، تعتمد على أشعة الليزر ، أو الموجات القصيرة .

مطّ الروسى شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :

ـ أما زلتم بالسذاجة ، التى تسمح بإقامة أية منشآت مدنية ، بالقرب من قواعدكم العسكرية ؟!

قاده الأمريكى إلى مبنى فى طرف القاعدة ، مجيبًا :

ـ إنها الديمقراطية يا جنرال .. هذا ما نحرص ونصرّ عليه دومًا .

قال الروسى فى سخرية :

ـ من الناحية الظاهرية فحسب .

هزّ الأمريكى رأسه ، قائلاً :

ـ ربما .. إنها ليست قضيتنا على أية حال يا جنرال .

استقرّ بهما المقام داخل حجرة مكتب خاصة ، مؤمّنة ضد كل وسائل التنصّت والمراقبة ، فجلس الروسى على مقعد وثير ، وهو يقول :

ـ قل لى أيها الأمريكى : ما الحقيقة وراء حادثة قصف قاعدتنا العسكرية ، بصاروخ نووى محدود ؟!

زفر الأمريكى فى توتر شديد ، وقد أدرك أن اللحظة التى يخشاها قد حانت ، وقال محاولاً التظاهر بالهدوء :

ـ أنت تعلم مثلنا أن منظمة خاصة جديدة قد ...

قاطعه الروسى فى صرامة :

ـ القصف تم بمقاتلة أمريكية يا رجل .. أحدث مقاتلة لديكم .

هزّ الأمريكى رأسه ، دون أن يجيب ، فتابع الروسى فى صرامة أكثر :

ـ المقاتلة (الشبح ٣) ، التى ما زالت فى مراحلها التجريبية .

حدّق الأمريكى فى وجهه بذهول ، قبل أن يقول فى غضب :

ـ أهذا اعتراف بأنكم تتجسّسون علينا ؟!

قال الروسى فى حدة :

ـ أو هو اعتراف بأن قصف قاعدتنا كان جزءًا من تدريبات واختبارات (الشبح ٣) .

كاد الأمريكى يقفز من مقعده ، وهو يصرخ :

ـ مستحيل ! أى تفكير مريض هذا ؟! كيف تتصوّرون أن نقصف قاعدة كاملة ، بكل ما عليها ومن عليها ، من أسلحة ومعدات وجنود ، لمجرّد اختبار سلاح جديد ؟!

أجابه الروسى فى صرامة غاضبة :

ـ وما الفارق بين هذا ، وما فعلتموه فى مواضع ومواقع أخرى عديدة .. مثل (فيتنام) و(بنما)

و (العراق) ؟! ألم تكن مجرّد وسائل لاختبارات القوة ، والأسلحة الحديثة ؟!

قال الأمريكى فى عصبية :

ـ هناك فارق .

أجاب الروسى فى حدة :

ـ فارق زمنى فحسب .

نهض الأمريكى من مقعده ، وهو يقول فى حدة :

ـ اسمع يا جنرال .. أسخف ما يمكن فعله ، فى هذا الوقت ، هو أن نتشاجر ونتصارع ، فى حين ينبغى أن نتحد معًا ؛ للتصدّى لتلك المنظمة الغامضة ، التى تسعى لامتلاك ناصية قوة ، لاتتأتّى إلا للدول العظمى .

زمجر الروسى ، قائلاً :

ـ ولماذا لا يكون كل هذا من اختراعكم ؟!

ردّد الأمريكى فى دهشة مستنكرة :

ـ من اختراعنا ؟!

لوّح الروسى بذراعه ، هاتفًا :

ـ نعم .. مجرّد وهم ، مثلما تخدعون العالم كله

بخدعكم السينمائية المتقنة ، التى يعدها مخرجوكم ، بالاستعانة بالتكنولوجيا المتقدمة ، التى تهدرونها فى هذه السخافات .. منظمة وهمية ، تقنعون العالم بوجودها ، حتى يمكنكم فعل كل ما يحلو لكم تحت ستارها .

قال الأمريكى فى حنق :

- يا لها من فكرة سخيفة !

أجابه الروسى فى حزم :

- ومنطقية أيضًا .. إنها تمنحكم فرصة سرقة غوّاصتنا النووية ، وقصف قاعدتنا العسكرية ، وإجبارنا على تسليمكم مجرمًا من أبناء (روسيا) .. اختبار آخر للقوة .

انعقد حاجبا الأمريكى فى غضب ، قبل أن يعود للجلوس ، ويميل نحوه ، قائلا :

- وهل تتصوّرون أننا بحاجة إلى اختبار قوة آخر معكم ؟!

احتقن وجه الروسى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع الأمريكى ، وقد استعاد الكثير من صرامته :

- اختبار القوة انتهى بالفعل يا صديقى ، منذ انهارت دولتكم ، وتفككت ، وانكشفت أزمتكم الاقتصادية الطاحنة .. منذ مددتم أيديكم إلينا ، لنقدّم لكم القمح والمعونات المالية .. لم تعد هناك حاجة لأية اختبارات قوة يا رجل .. الجميع يعلمون أننا أصبحنا الأقوى .. أصبحنا زعماء العالم بلا منازع ، وأنتم أوّل من يدرك هذا .. أليس كذلك يا صديقى ؟! أليس كذلك يا وزير الدفاع الروسى ؟!

ازداد احتقان وجه الروسى أكثر وأكثر ، حتى بدا وكأنه سينفجر من كثرة الدماء ، وراح يسعل فى قوة ، على نحو جعل الأمريكى يتراجع ، ويستقر على مقعده ، ويضمُّ كفيه أمام وجهه ، قائلا :

- والآن يا سيادة وزير الدفاع الروسى .. هل يمكن أن نبدأ الحديث مرة أخرى ، من المنظور الذى أوضحناه الآن ؟!

سعل الروسى مرة أخرى ، وعضّ شفته السفلى فى عصبية ، قبل أن يشيح بوجهه ، ويقول فى عصبية :

- ماذا ستفعلون ، لمواجهة تلك المنظمة ؟!

ابتسم الأمريكى فى ظفر ، وهو يجيب :

- إننا ننتظر خطوتهم التالية .

قال الروسى بنفس العصبية :

- ثم ؟!

أجاب الأمريكى فى سرعة :

- كل إمكانياتنا مجنّدة لهذا الهدف وحده يا جنرال .. أقمارنا الصناعية كلها تعمل ، لفحص كل مكان يمكننا فحصه ، وجواسيسنا ينتشرون فى كل مكان فى العالم .. حتى فى بلادكم .

التقى حاجبا الروسى ، وهو يغمغم فى حنق :

- نحن نعلم هذا .

سأله الأمريكى فى دهشة :

- تعلمون باستعداداتنا ؟!

أجابه الروسى فى حدة :

- بل نعلم أن جواسيسكم ينتشرون فى أرضنا .

ابتسم الأمريكى ، قائلاً :

- هذا أمر آخر يا جنرال .. إننا نناقش الآن كيفية تعاوننا ؛ لمواجهة هذا الخطر الجديد .

التقط الروسى نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، وهو يسأل :

- ماذا تقترحون ؟!

قبل أن يفتح الأمريكى شفتيه ، لإجابة السؤال ، اقتحم مساعده المكان فجأة ، وهو يهتف :

- معذرة يا سيادة وزير الدفاع .. إنه أمر عاجل للغاية .

قال الروسى فى غضب :

- لو أن مساعدى فعل هذا فى (موسكو) ، لأطلقت النار عليه فورًا .

قال الأمريكى ، وهو ينهض ليلتقط الورقة ، التى أتى بها مساعده :

- من حسن الحظ أننا لسنا هناك .

وألقى نظرة عاجلة متلهفة على الورقة ، ومساعده يقول فى انفعال :

ـ لقد حدث هذا منذ نصف الساعة فحسب .

اتسعت عينا الأمريكى ، وهو يحدق فى الورقة ، هاتفًا بانفعال جارف :

ـ مستحيل !

هبَّ الروسى من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أدار الأمريكى عينيه إليه ، وحاول أن يقول شيئًا ، إلا أن الكلمات احتبست فى حلقه ، وبدت عيناه المتسعتان خلف منظاره فى شكل عجيب للغاية ..

هذا لأن ذلك الخبر ، الذى جاء به مساعده ، والذى يحمل تفاصيل ضربة منظمة (إكس) الجديدة ، كان يكفى لتفجير كل دهشة الدنيا ، فى أعماق أى كائن كان ..

حتى وزير الدفاع الأمريكى نفسه ..

هذا لأن الخبر كان مذهلاً ..

وبكل المقاييس ..

* * *

كانت لحظة حاسمة للغاية ، عندما واجه (أدهم) عملاقى (بولارد) ، وسط أدغال (كومانا) ..

لحظة إما أن تُحسب له ..

أو عليه ..

أو بمعنى أدق ، على حياته ..

لذا فقد استعاد عقله نشاطه الكامل دفعة واحدة ، وتحرَّك بسرعة مدهشة ، على نحو غريزى تمامًا ، ووثب جسده إلى اليسار ، ليتفادى رصاصات الرجل ، فى نفس اللحظة التى ألقى فيها الغصن ذا الطرف الحاد نحوه بكل قوته ..

وشعر (أدهم) برصاصة تحتك بذراعه ، وتمزِّق جزءًا من جلده ، فى نفس اللحظة التى انبعثت فيها شهقة عجيبة ، أشبه بخوار ثور مريض ، من الرجل ، الذى اخترق الغصن عنقه ، من الأمام إلى الخلف ..

ولثوان ، جحظت عينا الرجل ، وضرب الهواء بقبضته ، وسبابته تضغط زناد مدفعه مرة أخرى ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى اللحظة ذاتها ، هبّ الرجل الآخر ، مطلقًا زمجرة غاضبة ..

وانقضّ على (أدهم) ..

وبسرعة لم يتوقّعها هو نفسه ، دار (أدهم) دورة مدهشة ، غاية فى الرشاقة والمرونة ، وركل الرجل فى معدته ، ثم حطّم أنفه وفكه بلكمتين سريعتين متعاقبتين ..

ومع سقوط الرجل الثانى ، تحرك (أدهم) فى سرعة ..

كان يدرك أن (بولارد) ورجاله ، كمحترفين ، سيهرعون إلى المكان على الفور ..

وبأقصى سرعة ممكنة ..

ولكن العجيب أنه لم يكن يشعر بأدنى توتر أو قلق ..

بل كان يشعر بنشوة مدهشة ..

نشوة بلا حدود ..

نشوة رجل استعاد قوته ، بعد أن تصوّر أن الموت مصيره لا ريب ..

نشوة صحوة ، أعادت إليه كل حماسه ونشاطه .. على الرغم من كل جراحه ..

وإرهاقه ..

وآلامه ..

ودقة موقفه ..

وخطورته ..

وبسرعة تليق بمحترف خبير ، انتزع منظار الرؤية الليلية ، من فوق عينى الرجل الصريع ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أن تلك المدافع الآلية من ذلك الطراز الحديث للغاية ، الذى قرأنا عنه ، والتى لا تعمل إلا مع صاحبها فقط .

ثم انتزع الخنجر ، من جراب ملتفّ حول ساق الرجل ، مستطردًا :

ـ لذا فهى بلا فائدة .

التقطت أذناه ، فى تلك اللحظة ، وقع أقدام (بولارد) ورجاله ، وهم يقتربون من موضعه ،

فانطلق يعدو فى خفة ، نحو شجرة كبيرة أخرى ، وهو يرتدى منظار الرؤية الليلية ، و ...

وفجأة ، وجد أمامه أحد رجال (بولارد) ..

وكانت مفاجئة عنيفة ..

للطرفين ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد تصرَّف كل منهما كمحترف ..

الرجل وثب إلى الخلف ، ورفع فوهة مدفعه بسرعة البرق ..

و (أدهم) انقضَّ عليه ..

بأسرع من البرق ..

وقبل حتى أن يضغط الرجل زناد مدفعه ، هوت قبضتا (أدهم) على فكه وأنفه كقنبلتين صامتتين ، تفجَّرتا بسرعة مذهلة ..

ودون حرف واحد ، هوى المرتزق كالحجر ..

وبسرعة ، تلقَّفه (أدهم) بين ذراعيه ، ودفعه نحو تلك الشجرة الضخمة ، وألصقه بجذعها فى قوة ، وهو يتمتم :

ـ اصمت أيها الوغد ، فقد وصل رفاقك الأوغاد .

كان (بولارد) ورجاله يندفعون إلى المكان ، فى تلك اللحظة ، دون أن ينتبه أحدهم إلى أن عددهم ينقص واحدًا ..

ومن مكمنه ، وبينما يرقد الرجل إلى جوار جذع الشجرة ، راح (أدهم) يستمع إلى حديث (بولارد) ..

ثم سمعه يلقى أوامره إلى الهليوكوبتر ..

وفى خفة مدهشة ، ترك الرجل الفاقد الوعى فى موضعه ، وانطلق يعدو مبتعدًا ، وسط الأشجار والأغصان ..

وفى سماء المعركة ، برز هدير الهليوكوبتر ..

ثم ارتفع دوى الرصاصات ..

وبابتسامة ساخرة ، غمغم (أدهم) :

ـ الذئاب يلتهم بعضها البعض .

فى نفس اللحظة ، التى غمغم فيها بعبارته ، كان وجه (بولارد) يكاد ينفجر غضبًا ، وهو يحدِّق فى عملاقه ، الذى صرعته رصاصاتهم ، وهتف فى سخط هائل :

ـ يا للجحيم ! لقد دفعنا إلى قتل رجلنا بأيدينا .

كان غضبه موزعًا على وجوه الآخرين ، الذين راحوا يتلفتون حولهم ، فى تحفز عصبى ، بحثًا عن فريستهم ، فالتفت إليهم (بولارد) ، صائحًا فى صرامة ، وبلغة غير شائعة على الإطلاق :

- ماذا دهاكم ؟! لا تجعلوه يفلح فى ضرب أعماقكم .. لا تفقدوا أعصابكم مهما حدث .. تماسكوا .. الموت ليس بجديد علينا .. إنه ليس أوّل من نفقد .

ثم انعقد حاجباه فى شراسة ، مستطردًا :

- المهم أن يصبح آخرهم .

تبادل الرجال نظرة متوترة ، حملت كل ما تنطوى عليه أعماقهم ، فتابع بنفس الصرامة الشرسة :

- من الواضح أن التكنيك الذى نعمل به غير مجد ، مع رجل مثله ، فهو ليس محترفًا فحسب ، وإنما خبير فى مضماره أيضًا(*) ..

(*) المحترف : هو الذى يحترف ما يفعله ، أى يتخذ منه حرفة تقيم أوداه .. أما الخبير فهو الشخص الذى يجيد عمله ، إلى أقصى حد ممكن ، والفارق واضح .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم وحشى :

- سننتقل إلى الخطة رقم ثلاثة .

قالها ، وهو يشير بسبابته ، فانتزع أحد رجاله من حزامه مسدس إشارة ، رفع يده به إلى أعلى ، وضغط زناده ..

ومن المسدس انطلقت قذيفة ، تفجّرت فى السماء بضوء أحمر باهت ..

وما إن لمح عمالقة (بولارد) ذلك الضوء ، الذى لم يستقر فى السماء سوى لحظة واحدة ، حتى رفع كل منهم مدفعه ، وضغط أحد أزراره ، ثم ضغط زنادًا إضافيًا ، أمام الزناد الأوّل ، وهو يخلع منظار الرؤية الليلية ..

ومع الضغطة ، انطلق لسان من اللهب ، من فوهة ثانية ، أسفل فوهة إطلاق الرصاصات ..

وفى ثوان معدودة ، اشتعلت النيران فى دائرة واسعة ، وسط أدغال (كومانا) ..

وللوهلة الأولى ، أغشت النيران عينى (أدهم) ، وهو يرتدى منظار الرؤية الليلية ، فانتزعه عن عينيه ، وألقاه أرضًا ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى النيران التى تحيط بالمكان كله ..

النيران التى حاصرته داخل دائرة من اللهب ..

دائرة تضمّ أيضًا الجنرال (بولارد) ، سفاح الصرب ورجاله ..

وكان هذا يحوّل المعركة إلى جحيم ..

جحيم حقيقى ..

بكل معنى الكلمة ..





وللوهلة الأولى ، أغشت النيران عينى (أدهم) ، وهو يرتدى منظار الرؤية الليلية ، فانتزعه عن عينيه ، وألقاه أرضًا ..

٧ - الجحيم الوحشي ..

« (كوين إليزابيث) .. »

ألقى مدير المخابرات المصرية الاسم ، وهو يشير إلى التقرير العاجل ، الذى وصله منذ دقائق ، ثم تابع ، وهو يدير بصره فى وجوه كبار رجاله ومعاونيه ، الذين التفوا حول مائدة الاجتماعات الخاصة ، فى مبنى الأمن القومى ، داخل جهاز المخابرات العامة :

- تلك الباخرة الشهيرة ، كانت تمخر عباب المحيط ، فى عيدها السنوى ، وعلى متنها ألف شخص ، من أغنى أغنياء العالم ، عندما تلقّى ضابط الاتصال بها تحذيرًا لاسلكيًّا ، يقول صاحبه :

والتقط التقرير ، ليقرأ منه نص الكلمات :

- هنا منظمة (إكس) .. غواصتنا على مسافة ثلاثمائة ميل بحرى منكم ، وطوربيداتها موجّهة نحوكم مباشرة ، وهذا الاتصال اللاسلكى هو آخر ما ستتمكن أجهزتكم من التقاطه .. إننا نطالبكم

بالاستسلام فورًا ، وإلا فسيتم نسف الباخرة ، بكل من عليها ، دون توجيه إنذار آخر ، ما لم يتم رفع علم أبيض ، خلال عشر دقائق فقط .

ثم عاد يرفع عينيه إلى رجاله ، متابعًا :

- وبالفعل ، انقطعت الاتصالات اللاسلكية كلها بعدها ، مما يؤكّد أن الغوّاصة تم تزويدها بجهاز شوشرة قوى خاص ، وهذا دليل جديد على قوة تلك المنظمة الجديدة .. وعندما راقب قبطان الباخرة الأفق ، وسط الظلام ، شاهد الغوّاصة النووية السوفيتية ، على بعد ثلاثمائة متر منهم بالفعل ، ولقد تعرّفها ؛ لأنه كان أحد رجال البحرية البريطانية ، قبل أن يتولّى منصبه هذا .

والتقط نفسًا عميقًا ، وكأنه يقاوم به توتره ، قبل أن يتابع :

- ومن الناحية الثانية ، ظهر زورقان من زوارق الطوربيد الفرنسية الصنع ، وعلى متنهما فرقتان من الكوماندوز المقنّعين ، والمسلحين بأحدث الأسلحة ، وما إن خضع القبطان للتهديد ، ورفع العلم الأبيض ،

خوفًا على حياة ركابه ، حتى اتجه الزورقان نحو الباخرة ، وقفز المقنعون يحتلون الباخرة ، ويستولون على كل ما يحمله ركابها من أموال ومجوهرات ..

غمغم أحد الرجال :

ـ عملية قرصنة حقيرة .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ولكنها عملية قرصنة بعشرين مليون جنيه استرلينى .

اتسعت عيونهم فى دهشة وانبهار ، وهتف أحدهم مبتسمًا :

ـ يا للأثرياء ! لماذا يحملون ثروة طائلة كهذه ، فى رحلة سياحية ؟!

قال المدير فى حزم :

ـ النقود السائلة لم تتجاوز مائة ألف جنيه استرلينى ، ولكن النساء كن يرتدين أغلى وأنفس حليهن ومجوهراتهن ..

قال رجل آخر :

ـ أمر طبيعى .

ثم مال إلى الأمام ، يسأل فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا تقوم منظمة (إكس) بعملية سخيفة كهذه ، حتى ولو حصلت منها على عائد ضخم كهذا ؟! فمن المؤكد أن العمليات القوية ، التى قامت بها فى البداية ، لم تكن لتمويل عمليات قرصنة حقيرة !

تراجع المدير فى مقعده ، قائلاً :

ـ لو أنك نظرت إلى الأمور، من الزاوية الصحيحة ، لوجدت أن ما يحدث الآن هو التمويل الحقيقى .. المنظمة قامت بعمليتين ضخمتين ، حصلت بهما على سلاحين غاية فى القوة ، ومن المؤكد أنها قد أنفقت فى سبيل ذلك مبلغًا هائلاً ، لذا فهى تسعى الآن للاستفادة من استثماراتها ؛ للحصول على تمويل حقيقى ضخم ، يتيح لها القيام بعمليات أكثر ضخامة ، وتحقيق انتصارات أكثر تأثيرًا .. وهذه الأمور تحتاج إلى الأسلحة ، والذخائر ، والعتاد ، والرجال .. وكل هذا يحتاج بدوره إلى نفقات باهظة ، تعجز بعض

الدول الصغيرة عن تدبيرها ، فما بالكم بمنظمة مستقلة ؟!

تبادل الرجال نظرة متوترة ، وقد أدركوا خطورة الموقف ، وقال أحدهم فى اهتمام :

ـ هل تتوقع قيامهم بعملية أخرى مماثلة يا سيدى .

أجابه المدير فى سرعة :

ـ دون ذرة واحدة من الشك .

قال رجل آخر :

ـ لست أظنهم ينجحون فى تحقيق انتصار آخر مماثل ، بعد أن انكشف أسلوبهم وهدفهم .

هز المدير رأسه ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا ما تتصوره .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حزم :

ـ الهجمة الأولى كانت قوية ، كعادة تلك المنظمة ، ولكن لا أحد سيمكنه أن يتوقع الضربة القادمة قط ، فطبقًا للإحصائيات ، هناك أكثر من نصف مليون سفينة تجارية ، تجوب البحار والمحيطات يوميًا ،

وكلها تحمل مختلف أنواع البضائع ، القانونية وغير القانونية ، من أدوات النجارة ، وحتى البترول والأسلحة(*) ، وما من شك فى أن المنظمة تحتاج إلى كل هذا ، لبناء صرحها وتأمينه ، خاصة وهى تعلم أن العالم كله صار يسعى خلفها .

قال أحد معاونيه :

ـ هى التى دفعته إلى هذا .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. المهم أنها ما زالت ناجحة حتى الآن ، ومن المؤكد أن لديها جواسيس فى كل مكان ، إذ أن غواصتها اختارت منطقة بعيدة عن كل الأقمار الصناعية ، فى لحظة الهجوم ، وستفعل المثل فى كل مرة ، حتى ينكشف أمر جواسيسها ، أو نظام عملها .

غمغم رجل مخابرات :

ـ أو تنتصر فى معركتها :

أجاب المدير فى صرامة :

(*) حقيقة .

ـ وهذا ما ينبغى أن نبذل قصارى جهدنا لمنعه .
ثم أخرج ورقة أخرى من الملف أمامه ، متابعًا :
ـ الأمريكيون أرسلوا يطلبون منا التعاون معهم ، ومع الروس والبريطانيين والفرنسيين ، فى جبهة واحدة مشتركة ، لمواجهة ذلك الخطر .
سأله معاونه :
ـ وبِمَ سنجيبهم ؟!
قال المدير :
ـ هذا قرار يخصّ القيادة السياسية ، خاصة وأن الإسرائيليين يطلبون الانضمام إلى تلك الجبهة المشتركة .
بدا الغضب على أحد الرجال ، وهو يقول :
ـ إننى أفضّل الاستقالة ، على التعاون مع الإسرائيليين ، بأى حال من الأحوال .
قال المدير فى صرامة :
ـ كلنا هذا الرجل ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، ولو تلقينا أوامر القيادة السياسية

بالمضى فى الأمر ، فسنمضى فيه قدمًا ، حتى آخر المطاف ، مهما كان الأمر ..
وتراجع فى مقعده ، ليدير عينيه فيهم جميعًا مرة أخرى ، متابعًا :
ـ هذا ما أقسمنا عليه جميعًا .
تبادل الرجال نظرة صامتة ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، فقال المدير فى حزم صارم :
ـ والآن دعونا نناقش كل الخطوات المحتملة ، وكل الـ ...
بتر عبارته بغتة ، مع أزيز جهاز الفاكس الداخلى ، الموضوع إلى جواره ، فأدار عينيه إليه ، وكذلك فعل الجميع ، وهم يتابعون الورقة ، التى راحت تبرز منه فى بطء ، حاملة آخر تقارير الموقف ..
وفى لهفة واضحة ، التقط مدير المخابرات الورقة ، وألقى نظرة عليها ..
ثم انعقد حاجباه فى شدّة ..
وغضب ..

وانفعل ..

وفى توتر شديد ، سأله أكبر معاونيه :

- ماذا حدث هذه المرة ؟!

أجابه المدير ، وقد حمل صوته كل انفعالاته :

- من الواضح أن منظمة (إكس) لا تريد إضاعة أية لحظة .. لقد هاجموا هدفًا بحريًا جديدًا ، بعد أقل من ساعة واحدة ، من هجومهم على (كوين إليزابيث) ..

والتقى حاجباه فى غضب ، وهو يكمل :

- وفى هذه المرة تم الاستيلاء بالكامل على الهدف الجديد ، وهو ناقلة بترول ..

وارتجفت شفتاه من فرط الغضب والانفعال ، مع إضافته الصارمة :

- مصرية .

ولم ينبس أى من الرجال ، حول مائدة الاجتماعات بحرف واحد ..

ولكن عيونهم التقت كلها فى نظرة واحدة ..

نظرة حملت كل التوتر ..

وكل الحزم ..

والإصرار ، و ..

والغضب ..

* * *

تألّقت عينا الجنرال الفرنسى (شامبليون) على نحو عجيب ، وهو يجلس أمام جهاز اتصال محدود ، داخل ذلك الوكر السرى ، فى أعماق ثلوج (ألاسكا) ، ويقول فى ظفر وحشى مخيف :

- (بريماكوف) يقوم بعملية على ما يُرام يا سيِّد (X) ، وينفذ أوامرك بمنتهى الدقة والإحكام ، وطبيعته الديكتاتورية تساعده على أن يربح معاركه بشراسة ترهب خصومه .

أتاه صوت آلى مبرمج ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، يقول :

- إنها مجرَّد سفن وبواخر سياحية أو تجارية ، والانتصار عليها لا يستحق الزهو يا جنرال .

هزَّ (شامبليون) كفيه ، وقال :

ـ إنه انتصار على أيةَ حال ..

ثم تابع فى انفعال :

ـ انتصار سحقنا به غطرسة وغرور الدول الكبرى ، التى تتصوَّر نفسها على قمة العالم ، و ...

قاطعه الصوت الآلى فى صرامة :

ـ حذار أن تتعامل مع الموقف من منظور شخصى يا جنرال .. إننا نبنى عالمًا جديدًا ، ونضع قواعد مختلفة ، للتعامل الدولى ، ونتحدَّى النظام العالمى الجديد .. والقديم أيضًا ، وهذا أمر يحتاج إلى الصبر والحكمة ، والبعد عن الأهواء الشخصية تمامًا ، والنظر إلى كل ما يمكن أن يحقِّق نتائج إيجابية ، ويضمن أمن وسلامة المنظمة ، فى الوقت ذاته .

ابتسم (شامبليون) فى عصبية ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى الصبر ، حتى أرى (أوروبا) كلها فى قبضتنا ، وكل الأوغاد والحمقى ، الذين يحكمونها ، وقد انحنوا أمامنا ، وأعلنوا خضوعهم واستسلامهم .

أجابه الصوت الآلى :

ـ عوِّد نفسك إذن على الصبر يا جنرال ..

هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ ليس هذا بالأمر السهل .

مضت فترة من الصمت ، قبل أن يقول الصوت الآلى ، فى صرامة شديدة :

ـ تعلَّم منى إذن يا جنرال .. لقد صبرت وعانيت كثيرًا .. وطويلاً .. هذا الوكر ، الذى تقف داخله الآن ، استغرق بناؤه وإعداده أكثر من ثلاث سنوات ، فى سرية تامة ، وببطء شديد ، لضمان أمنه وسلامته .

غمغم فى عصبية :

ـ سمعت أن كل من أسهموا فى إنشائه ، تمت تصفيتهم ، على نحو أو آخر .

تجاهل صاحب الصوت ذلك التعليق تمامًا ، وهو يتابع :

ـ حتى نظام الأمن ، احتاج إلى عامين كاملين ، لتنسيقه ، وتوزيعه ، وضمان وجود أحد رجالنا ، فى

كل موقع يهمنا أمره ، كالحكومات ، والمؤسسات السياسية والعسكرية ، والنظم الاقتصادية العملاقة ، ومصانع الأسلحة ، وأجهزة المخابرات المختلفة .. عامان كاملان من الإعداد والتنظيم .. والإنفاق أيضًا ، قبل أن تحين لحظة إعلان الوجود .

قهقه الفرنسى ضاحكًا ، وهو يقول فى وحشية :

- لقد كانت لحظة ميلاد قوية ، بما يتناسب مع القادة القادمين ، للعالم الجديد .

صمت الصوت الآلى فترة طويلة أيضًا ، ثم قال فى صرامة :

- بالتأكيد .

انتفخت أوداج (شامبليون) ، وهو يحلم بالعالم الجديد المزعوم ، وأغلق عينيه لحظة مع حلمه ، قبل أن يسأل فجأة :

- ولكن لماذا احتفظنا بهم ؟!

سأله الصوت الآلى فى حدة :

- بمن ؟!

أجاب فى اهتمام بالغ :

- طاقم ناقلة البترول المصرية ؟! لماذا أصررت

على أنه يتم أسرهم جميعًا ، بعد الاستيلاء على الناقلة ؟! إنهم مجرَّد مجموعة من المدنيين .

قال الصوت فى صرامة :

- ولكنهم مصريون .

سأل فى حيرة :

- وماذا فى هذا ؟!

طال الصمت طويلاً جدًا هذه المرة ، قبل أن يجيب الصوت الآلى ، برنة ساخرة عجيبة :

- لا تشغل نفسك بالتفكير فى هذا يا جنرال .

وصمت بضع لحظات أخرى ، ثم أضاف فى حزم مباغت :

- إنها مسألة شخصية .

وارتفع حاجبا (شامبليون) فى دهشة بالغة ، وحيرة بلا حدود ..

فعلى الرغم من أنه يتعاون مع السيد (X) منذ عامين كاملين ، إلا أنه ما زال يجهل الكثير عنه .. الكثير جدًا ..

* * *

توهّجت عينا الجنرال (بولارد) ببريق وحشى ، كاد يطغى على وهج النيران المحيطة بالمكان وهو يدير عينيه فيما حوله ، قائلاً لرجاله :

ـ النيران لن تمتدّ أو تستمر كثيرًا ، وسط أدغال رطبة كهذه ، وهذا يعنى أنه أمامنا نصف الساعة على الأكثر ، لنظفر بذلك المصرى ، قبل أن تخبو النيران ، ويمكنه الفرار منا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا بلهجة آمرة صارمة :

ـ سننقسم إلى أربع مجموعات ، وننتشر بمحاذاة خط النار .. والأوامر ما زالت بنفس الصيغة .. أطلقوا النار على كل ما يتحرّك .. انسفوا كل ما يراودكم أدنى شك فى أمره ..

وبدأ تحرُّكه ، متابعًا :

ـ التركيز على منطقة الشمال والغرب ، حيث إن المستنقع يمثّل عائقًا طبيعيًا ، من الجنوب والشرق .. سنواصل المطاردة حتى نظفر به ، مهما كان الثمن .

والتقى حاجباه كوحش ثائر ، وهو يضيف :

ـ هل تفهمون ؟! مهما كان الثمن .

كان هذا آخر ما نطقه ، قبل أن ينقسم الرجال إلى أربع مجموعات بالفعل ، ويتحرَّكون فى خفة حذرة متحفزة ، لتنفيذ الأوامر ، ومحاصرة الفريسة ..

حتى الموت ..

كانت النيران تضىء مساحة واسعة من الأدغال ، على نحو أصاب قائد الهليوكوبتر بتوتر بالغ ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ ماذا فعلت بالضبط يا جنرال ؟! النيران التى أشعلتها فى الأدغال ، فى قلب الليل ، تضىء المنطقة كلها ، حتى إنه يمكن رؤيتها من القمر ، فما بالك بالمسئولين فى (كوماتا) ، فى ظل هذه الظروف .

أجابه (بولارد) فى صرامة :

ـ لن يستغرق هذا سوى نصف الساعة على الأكثر .

هتف الطيّار :

ـ نصف الساعة ؟! نصف الساعة هذه تكفى ، ليزدحم المكان هنا بجيش من رجال الأمن ، والمسئولين ،

وحرَاس الغابة ، وجمعية الحفاظ على البيئة ، والرفق بالحيوان ، و ...

قاطعه (بولارد) فى شراسة :

ـ لو أردت الحفاظ على أسنانك ، فأغلق شفتيك عليها يا هذا ، ولا تتدخَّل فيما لا يعنيك .

هتف به الطيَّار فى غضب :

ـ عبارة قديمة سخيفة ، قرأتها فيما قبل ، فى مجلة هزلية بلجيكية يا رجل ، ولكنها لن تعنى شيئًا ، عندما تشتعل الأمور .. أنا واثق من أن تلك النيران قد تم رصدها فى (كوماتا) .

قال (بولارد) فى حدة :

ـ لا تجعل هذا يشغلك .. السيِّد (X) سيتولَّى كل الأمور هناك .

صاح الطيَّار :

ـ أنتم تلعبون بالنيران التى أشعلتموها يا جنرال ، ولتعلم أنه لو تعقَّدت الأمور ، فسأكون أوَّل من يرحل من هنا .

قال (بولارد) فى غلظة :

ـ هكذا الفئران دائمًا .. أوَّل من يغادر السفينة ، عندما توشك على الغرق .

قال الطيَّار فى صرامة :

ـ هذا أفضل من أن تلتهمها القطط لغبائها .

هتف (بولارد) فى غضب هادر :

ـ كف عن حماقاتك هذه ، وقم بعملك أيها الوغد .. هيَّا .. طف حول المكان ؛ لتكشف أمر الفريسة .. هيَّا .

همهم الطيَّار بكلمات غاضبة ساخطة ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر ، لينفذ الأوامر الصادرة إليه ، فتابعه (بولارد) ببصره ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ عندما ينتهى هذا .. أقسم أن تكون أوَّل من أنسف رأسه ، أيها الغبى .

ثم استدار إلى فريقه ، صائحًا فى حدة :

ـ ماذا تنتظرون ؟! هيَّا ..

وراح يتحرَّك معهم ، فى اتجاه الشرق ..

وفى الشمال ، كانت مجموعة أخرى من رجاله تتحرك ، بمنتهى التوتر والحذر ، وأسلحتهم مشهورة متحفزة ، بحثًا عن الفريسة ..

كانت النيران تخبو تدريجيًا ، فى الدائرة التى أشعلوها بفعل الأوراق الرطبة ، وقطرات الندى الكثيفة ، التى تجمّعت بين الأغصان ، وبللت العشب وجذوع الأشجار ، لذا فقد تحركوا بسرعة أكبر ، وعيونهم تفحص ما حولهم فى دقة وخبرة .

ثم توقّف أحدهم فجأة ..

كانوا ثلاثة من العمالقة الأقوياء ، استجاب اثنان منهم لإشارة زميلهما ، وتطلّعا إليه باهتمام متسائل ، فأشار إلى الأرض ، دون أن ينطق بحرف واحد ، وتابعت عيونهما سبّابته ، ثم تبادلا نظرة باردة ..

كانت هناك بعض الأغصان المكسورة ، والأعشاب الملتصقة بالأرض ، التى تشف عن أن قدمًا قد وطأتها منذ قليل ..

وعلى مسافة متر واحد ، كان هناك أثر مماثل ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

حتى تنتهى الآثار ، عند جذع شجرة كبيرة ، تبعد عشرة أمتار فحسب ، عن حاجز النيران ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، وكما يتصرّف أى محترف حقيقى ، شهر الثلاثة مدافعهم الخاصة ، وانقسموا إلى تشكيل ثلاثى ، أحاط بجذع الشجرة الضخم ..

وبإشارة من أحدهم ، ضغطوا زرًا فى جانب مدافعهم ..

وجذبوا ذراعًا صغيرة ..

وكان هذا يعنى إطلاق النار بقوة أكبر ..

وبغزارة أكثر ..

باختصار .. لقد أعدوا العدّة لسحق فريستهم سحقًا ..

بلا أدنى شفقة ..

أو رحمة ..

كانت الآثار تؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، أن خصمهم يختفى فى قمة الشجرة ، التى تنتهى عندها الآثار .



وفجأة ، برز (أدهم) ، من خلف أكمة قريبة .. وانقضّ على أقرب الرجال الثلاثة إليه .. وأحاط عنقه بساعده القوى من الخلف ..

لذا فقد ارتفعت فوهات مدافعهم إلى أعلى .

و ...

وفجأة ، برز (أدهم) ، من خلف أكمة قريبة ..

وانقضَّ على أقرب الرجال الثلاثة إليه ..

وأحاط عنقه بساعده القوى من الخلف ..

ولكن العملاقين الآخرين انتبها إلى هذا ..

واستدارا إليه بسرعة مذهلة ..

وارتفعت فوهات مدفعيهما بلا تردُّد ..

ولو أنه كان يتصوَّر أن احتماءه بزميلهما سيمنعهما من إطلاق النار ، فهو مخطئ حتمًا ..

لقد اعتاد هؤلاء الرجال حياة خاصة ..

وتدرَّبوا بوحشية لا مثيل لها ..

لذا ، فوجود زميلهما أمام الفريسة المنشودة ، لم يدفع فى عقليهما ذرة واحدة من التردُّد ..

خاصة وأنهما يعلمان أن رصاصاتهما لن تتوقَّف عند جسد زميلهما ، بعد أن زادا قوتها وسرعتها إلى الضعف ..

إنها ستخترق جسده إلى جسد الفريسة ..

مباشرة ..

وهكذا ، وبكل حسمهما وشراستهما ، ضغط الرجلان زنادى مدفعيهما ..

وانطلقت الرصاصات ..

بكل العنف ..

* * *



٨ - خط النار ..

تحرّك رجل المخابرات المصرى (إبراهيم) فى سرعة ، عبر ممر مستشفى (كومانا) ، وما إن لمح (منى) ، التى تقف فى الممر ، ورأسها محاط بضمادة كبيرة ، حتى هتف :

- (منى) .. كيف حالك ؟! ماذا أصابكم ؟! لقد هرعت إلى هنا فور اتصالك .. ماذا حدث بالضبط ؟!

تنهّدت فى عصبية ، قائلة :

- هليوكوبتر طاردتنا ، ونحن فى طريقنا إلى هنا ، وأمطرتنا بالرصاصات ، حتى انقلبت سيارتنا ، وكدنا نلقى مصرعنا جميعًا .

سألها فى انفعال :

- وماذا عن الباقين ؟!

هزّت رأسها ، وقاومت دموعها فى استماتة ، وهى تجيب :

ـ (نادية) مصابة بشدة ، وحالتها بالغة الخطورة ، كما يقول الأطباء ، الذين يجرون لها جراحة عاجلة الآن ، لاستخراج رصاصة ، تجاوزت قلبها بسنتيمتر واحد ، و (بترو) فاقد الوعى ، على الرغم من أنه قد بدا سليمًا معافى ، عندما أخرج (جيهان) من السيارة ، بعد أن انقلبت ، وقبل أن تنسفها الهليوكوبتر بثوان معدودة ، ولكنهم يقولون إنه يعانى من ارتجاج فى المخ ، أما (جيهان) فظهرها يؤلمها بشدة ، وأخشى أن ... أخشى أن ...

لم تستطع إتمام عبارتها هذه المرة ، فارتجفت شفتاها ، وانهمرت الدموع من عينيها لتغرق وجهها ، فسألها (إبراهيم) فى خفوت مشفق :

ـ هل تعتقدين أن ...

هزت رأسها ، مغمغمة فى أسى :

ـ لست أدرى .. الأطباء حذروها من بذل أى مجهود زائد ، حتى لا تفشل عملية شفائها ، التى استخدموا فيها شريحة إليكترونية خاصة وجديدة ، ولكنها تحدتهم ، و ... و ...

مرة أخرى لم تستطع إتمام عبارتها ، فربت (إبراهيم) على كتفها متعاطفًا ، ثم شد قامته ، قائلاً :

ـ إنه (بارون دزرائيلى) .

سألته فى توتر :

ـ ألنت واثق ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ لقد وصل إلى هنا منذ نصف الساعة ، فى مطار خاص ، بهليوكوبتر أشبه بالمصفاة ، من كثرة ما أصابها من رصاصات .

سألته فى صرامة :

ـ وأين ذهب ذلك الوغد ؟!

هز رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أدرى .. لقد تعقبته حتى منطقة السوق التجارية ، ولكنه اختفى هناك تمامًا ، وقبل أن أبحث عنه ، تلقيت اتصالك ، فهرعت إلى هنا على الفور .

مطت شفتيها ، وعضتهما فى مرارة ، وهى تسترجع ذكرى ما حدث ، قبل أن تقول فى توتر بالغ :

ـ كدنا نلقى مصرعنا جميعًا ، لولا أن أبلغ بعضهم الشرطة بما حدث ، فوصلت سيارة إسعاف ، نقلتنا إلى هنا .

وعادت شفتاها ترتجفان ، وهى تضيف :

ـ وأتعشم أن نكون قد وصلنا فى الوقت المناسب .

غمغم متعاطفًا :

ـ سيصبح كل شىء على ما يُرام بإذن الله .

تمتمت من أعمق أعماق صدرها :

ـ يا رب .

مع آخر حروف كلماتها ، اتجه نحوهما رجل نحيل ، فى معطف مطر أسود ، وقال لـ (منى) فى صرامة :

ـ أأنت إحدى مصابى الحادث ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فتابع بنفس الصرامة :

ـ هل لك أن تشرحى لى ماذا حدث بالضبط ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ لست أدرى .. كنا فى طريقنا إلى هنا ، عندما طاردتنا تلك الهليوكوبتر ، وراحت تطلق علينا النار ، و ...

قاطعها ، متسائلاً :

ـ لماذا ؟!

تطلّعت إليه فى تساؤل ، فتابع ، وهو يعتدل فى صرامة أكثر :

ـ لماذا طاردتكم تلك الهليوكوبتر ؟!

أجابه (إبراهيم) فى صرامة :

ـ سل قائدها .

رمقه الرجل بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

ـ يبدو أننى لم أقدّم نفسى فى البداية .. أنا المفتش (جارسيا) .. رئيس القسم الجنائى ، فى شرطة (كومانا) .

قال (إبراهيم) :

ـ عظيم .. ابحث عن الجواب إذن .

وأضافت (منى) فى غضب :

ـ نحن الضحية وليس الجانى أيها المفتش ، لو أن عملك فى الشرطة قد جعلك تدرك الفارق بين الحالتين .

ابتسم المفتش فى سخرية ، وقال :

ـ كان يمكن أن أتصوَّر هذا ، لولا أن الشهود قد أكّدوا جميعًا أن إطلاق النيران كان متبادلاً من الطرفين ، وهذا يعنى أنكم لستم مجرَّد مجموعة من السائحين ، خاصة مع إجادتكم المدهشة للغة الإسبانية ، التى لا يفقه منها معظم السائحين حرفًا واحدًا .. ولو أضفنا إلى هذا أن (كومانا) ليست مزارًا سياحيًّا مهمًّا ، إلى الحد الذى يدفعكم إلى السفر إليها ، بعد منتصف الليل ، فسنجد أمامنا لغزًا كبيرًا ، يحتاج إلى أكثر من تفسير .

تطلَّعت إليه (منى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تتبادل نظرة مع (إبراهيم) ، ثم تقول للمفتش :

ـ وماذا لو أننا لا نملك تفسيرًا ؟!

مطَّ شفتيه ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة سيصبح الأمر مؤسفًا للغاية .

ثم أضاف فى صرامة قاسية :

ـ لأننى سأضطر إلى إلقاء القبض عليكم جميعًا .

هتفت (منى) :

ـ ليس هذا من حقك .. إننا أجانب .

أجابها فى صرامة ساخرة :

ـ بل من صميم حقى يا سيِّدتى ، فحتى الأجانب لا يحق لهم إطلاق النيران فى الأماكن العامة .. يمكنكم الاتصال بسفارتكم ، أو الاتصال بمحام دولى ، أو ...

قاطعه فجأة صوت جهورى هادر ، يقول :

ـ كفى يا (جارسيا) .

انعقد حاجباه ، وهو يستدير فى توتر إلى صاحب الصوت ، الذى كان على عكسه تمامًا ، قصيرًا بدينًا ، يلهث فى انفعال غير طبيعى ، وهو يتقدَّم منهم ، مستطردًا :

ـ لا تزعج السادة .. كفاهم ما عانوه الليلة .

شدَّ (جارسيا) قامته الطويلة ، على نحو أبرز الفارق بينه وبين القادم ، وهو يقول :

ـ سيّدى المفتش العـام .. أقـوال الشـهود كلهـا تـؤ ....

قاطعه المفتش العام فى صرامة غاضبة :

ـ قلت كفى يا (جارسيا) .

ازداد انعقاد حاجبى (جارسيا) فى غضب ، وهو ينقل بصره بين المفتش العـام ، وذلك الرجل المفرط الأناقة ، الذى يقف خلفه صامتًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، قبل أن يغمغم :

ـ سيّدى المفتش العام .. القانون يحتم ...

قاطعه المفتش العام ، فى غضب هادر هذه المرّة :

ـ كلمة إضافية أخرى ، وتفقد عملك يا (جارسيا) .

عضّ (جارسيا) شفتيه فى غيظ ، وغمغم :

ـ فليكن يا سيادة المفتش العام .. أوامرك واجبة التنفيذ .

ثم رمق (منى) وزميلها بنظرة غاضبة ، مضيفًا :

ـ فوق القانون نفسه .

نطقها ، ثم اندفع مبتعدًا كالصاروخ ، فلهث المفتش العام مرة أخرى دون مبرّر ، وراح يجفف عن وجهه عرقًا وهميًا ، وهو يلتفت إلى الرجل البالغ الأناقة خلفه ، قائلاً :

ـ كل شىء تـم ، كمـا أمـرت تمـامًا يا سـنيور (مانيانى) ..

ابتسم الأنيق ، وقال فى هدوء شديد :

ـ بالتأكيد أيها المفتش .. بالتأكيد .

وأخرج من جيب سترته الغاليـة مظروفـا مغلقـا منتفخًا ، ناوله للرجل ، الذى اختطفه فى لهفة متوترة ، ودسّه فى جيبه بسرعة ، قبل أن يلمحه أحد ، ثم غمغم ، وهو يبتعد بخطوات مسرعة ، ويلهث كمن قطع العالم ركضًا :

ـ أنا فى خدمتك دائمًا يا سنيور (مانيانى) .

انعقد حاجبا (إبراهيم) فى توتر ، فى حين تطلّعت (منى) إلى الأنيق فى حيرة وتساؤل ، قبل أن تسأله فى حذر :

- من أنت بالضبط يا رجل ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، أكثر أناقة من زيه ، وهو يجيب :

- دونا (كارولينا) ترسل تحياتها .

هتفت (منى) بدهشة بالغة :

- دونا (كارولينا) ؟!

ثم استطردت فى حماس :

- يا إلهى ! هذا صحيح .. (جيهان) أخبرتنى أن (دونا) قد أرسلتكم إلى هنا .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح يا سيدتى ، ولقد قمنا بعملنا على خير وجه .

ثم ناولها مظروفًا آخر ، مستطردًا :

- وهذا كل ما جمعناه من معلومات عن رجلكم .

قال (إبراهيم) فى عصبية :

- أهناك أمر ينبغى أن أعرفه .

أجابته فى حزم :

- سأشرح لك كل شىء فيما بعد .

تحدثا بالعربية ، فراقبهما الرجل بضع لحظات ، ثم قال :

- لقد أجريت اتصال بـ (دونا) ، وأخبرتها كل ما حدث هنا ، فطلبت منى إرسال السيدتين (نادية) و (جيهان) إلى (نيويورك) فورًا ، فى طائرة طبية خاصة ، حتى يمكن تأمين الرعاية الطبية الكاملة لهما ، ويمكنك مرافقتهما ، و ...

قاطعته فى حزم :

- سأبقى .

كانت تتوقع اعتراضًا ما ، إلا أن الرجل أجابها بمنتهى الهدوء :

- هذا شأنك .

قالت فى توتر :

- وماذا عن (بترو) ؟!

هز رأسه ، قائلاً :

- ليست لدى أية أوامر بشأنه .

قالت فى حزم :

ـ إنه جزء لا يتجزأ من الصفقة .

أجابها بنفس الهدوء ، وإن شابته رنة صارمة :

ـ (دونا) وحدها ينبغى أن تحدِّد هذا .

هتفت :

ـ قلت لك : ......

قاطعها بإشارة حاسمة من يده ، وقال :

ـ بدلاً من أن نضيع الوقت هنا ، فى نقاش غير مجد كهذا ، أعتقد أنه من الأفضل أن نتعاون ، لمعرفة سر النيران ، التى توهَّجت بغتة ، فى قلب الأدغال .

هتفت مبهورة :

ـ نيران ؟! فى أدغال (كوماتا) .

أومأ برأسه إيجابًا ، فخفق قلبها فى عنف ..

واختلج بين ضلوعها فى قوة ..

ففى أعماقه ، هتفت كل نبضة ، بأن تلك النيران تتعلق حتمًا به ..

بـ (أدهم) ..

وبكل ذرة فى كيانها ، قرَّرت أن تهرع إليه ..

ومهما كانت الثمن ..

مهما كان ..

★ ★ ★

دق (بيكويك) ، مساعد مدير (الموساد) باب حجرة مكتب هذا الأخير فى تردُّد ، وانتظر حتى سمع صوته من الداخل ، يقول :

ـ ادخل يا (بيكويك) ..

دفع الباب فى توتر ملحوظ ، وهو يقول :

ـ أدون (زيلمان) .. هل كنت تستعد للرحيل ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يرتدى سترته ، قائلاً :

ـ لقد سئمت المكان هنا .. إننى لم أغادره خلال ثلاثة أيام كاملة ، وينبغى أن أحصل على قليل من الراحة فى منزلى ..

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن ما الذى أتيت لتقوله ؟!

ازدرد (بيكويك) لعابه فى توتر ، وقال :

ـ لقد وصلت المعلومات ، الخاصة بأم ذلك الطفل ، الذى تم نقله إلى (نيويورك) بصفة عاجلة .

هتف (زيلمان) فى لهفة :

ـ حقًّا ؟! وأين هى ؟!

ناوله (بيكويك) ملفًا ، فاختطفه منه فى لهفة ، وراح يفحصه فى سرعة ، قبل أن تستقر عيناه على صورة أم الطفل ، فهتف :

ـ مستحيل ! هناك خطأ ما .. إنها محاولة لخداعنا .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، مستطردًا فى حدة :

ـ هذه ليست (سونيا) .

أومأ (بيكويك) برأسه إيجابًا ، وقال فى خفوت :

ـ بالتأكيد .

هتف (زيلمان) ، وهو يلقى الملف بطول ذراعه :

ـ هراء .

هزَّ (بيكويك) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هراءً للأسف يا أدون (زيلمان) .. لقد تحريت الأمر ، وراجعته بنفسى مرتين .. هذه أم الطفل .

انعقد حاجبا (زيلمان) فى شدة ، فازدرد (بيكويك) لعابه مرة أخرى ، فى عصبية أكثر ، قبل أن يقول :

ـ هناك أمر آخر :

ـ سأله (زيلمان) فى حدة :

ـ أى أمر .

تردَّد (بيكويك) لحظة ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ الطفل الآخر .

سأله فى عصبية :

ـ أى طفل آخر ؟!

أجابه فى تردُّد :

ـ ذلك الذى كنا نتحفَّظ عليه ، ثم أعدناه إلى كلية (بن جوريون) للناشئة ، منذ ساعات قليلة .

سأله فى قلق شديد :

ـ ماذا عنه ؟!

هز (بيكويك) رأسه ، مجيبًا :

ـ ما إن وصل إلى الكلية ، حتى كانت هناك سيَّارة فى انتظاره ، قامت بنقله فورًا إلى المطار ، حيث كانت هناك طائرة خاصة ، حملته إلى (الولايات المتحدة) مباشرة .

لوَّح (زيلمان) بذراعه ، قائلاً :

ـ أمر طبيعى .. أمه (مادلين أوهارا) سيِّدة أعمال ثرية هناك ، ولا شك فى أنها شعرت بعدم الأمان ، بعد أن احتجزناه هنا لبعض الوقت ، و ...

بتر عبارته ، عندما مدَّ (بيكويك) يده إليه بصورة كبيرة ، فسأله فى عصبية وغضب :

ـ ماذا هناك .

بدا التوتر مهيمنًا على صوت (بيكويك) ، وهو يجيب :

ـ صورة نادرة لسيِّدة الأعمال الغامضة (مادلين

أوهارا) .. أكبر مموِّل لحملة إعادة انتخاب رئيس الوزراء .

التقط (زيلمان) الصورة ، وألقى نظرة عليها فى توتر بالغ ..

كانت صورة تضمّ مجموعةً من رجال الأعمال ، فى حفل كبير ..

ووسط هؤلاء الرجال ، الذى بدا عليهم الإعجاب والانبهار ، كانت تقف امرأة باهرة الحسن والجمال ..

امرأة تزينت على نحو أبدل الكثير من ملامحها الأصلية ..

ولكن (زيلمان) تعرَّفها على الفور ..

لقد كانت صورة (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

وبكل ذهول الدنيا ، هتف مدير (الموساد) :

ـ ولكن .. ولكن ذلك الطفل أكَّد أنها ليست صورة أمه ؟!

تنهَّد (بيكويك) ، مجيبًا :

ـ لقد قدمنا له صورة قديمة للغاية لها ، إبان عملها وسط صفوفنا ، وليست صورة حديثة ، كما يراها ويعرفها هو .

اتسعت عينا (زيلمان) عن آخرهما ..

وارتجفت أطرافه كلها ..

وعجز عن البقاء واقفًا ، حتى إنه سقط على مقعده ، وقد امتلأت نفسه بمرارة لا حدود لها ..

لقد خدعته (سونيا جراهام) ..

ابنها وابن (أدهم صبرى) كان فى قبضته ..

ولكنها دفعته لإطلاق سراحه ..

وإعادته إليها ..

خدعته خدعة ، أفقدته نقطة الضعف الوحيدة ، التى كان يمكن أن توقع بالرجل فى قبضته ..

(رجل المستحيل) ..

ويا لها من خدعة !

خدعة مزدوجة من أفعى ..

أخطر أفعى فى الوجود ..

* * *

لم تكن القضية هنا ، وسط دائرة اللهب ، فى قلب أدغال (كومانا) ، قضية قوة ..

بل كانت قضية سرعة ..

وفى هذا المضمار ، ومهما بلغت درجة إرهاقه وإجهاده ، كان (أدهم) هو الجواد الرابح ..

ودون منازع ..

ففى نفس اللحظة ، التى اتخذ فيها عملاقا (بولارد) قرارهما بإطلاق النار ، لقتل زميلهما و (أدهم) معًا ، كان هو يضع قراره موضع التنفيذ بالفعل ..

وفى سرعة مذهلة ، أمسك يد الرجل ، الذى يحيط عنقه بساعده ، ووضع إصبعه فوق سبّابته ، وهو يرفع فوهة مدفعه نحو زميليه ..

وضغط بكل قوته ..

ولم يبد المدفع أدنى اعتراض هذه المرة ..

فالسبّابة التى تضغط زناده ، كانت تحمل بصمة صاحبه ..

نفس البصمة التى تعرّفها برنامجه من قبل ..

لذا فقد انطلقت الرصاصات من المدفع ..

انطلقت قبل أن تنطلق رصاصات الآخرين بجزء ضئيل من الثانية ..

وحصدتهما حصدًا ..

وفى غضب هادر ، تحرك الثالث ..

كان (أدهم) يحيط عنقه الضخم بساعده الفولاذى ، ولكن الرجل انحنى إلى الأمام ، وقبض عضلات رقبته ، وأدار ذراعه اليسرى خلفه ، وأمسك كتف (أدهم) ، ثم أطلق زمجرة قوية ، ووثب وثبة مدهشة ، فوجد (أدهم) نفسه يطير فى الهواء ، ثم يسقط مرتطمًا بالأرض فى عنف ..

ومع سقوطه ، تراجع العملاق ، ورفع فوهة مدفعه ، وهو يطلق زمجرة أخرى ، حملت كل غضب وثورة الدنيا..

ومرة أخرى ، أصبحت القضية قضية سرعة ..

فإما أن يضغط الرجل زناد مدفعه أولاً ..

أو ...

وبدون تفكير ، وعلى الرغم من بغضه لنهر الدم ، الذى أراقه خلال الساعة الماضية ، انتزع (أدهم) الخنجر من حزامه ..

وألقاه بكل قوته نحو خصمه ..

وانطلقت من حلق الرجل زمجرة أخرى مخيفة ، عندما انغرس الخنجر حتى مقبضه فى صدره ، وتراجع بحركة حادة ، وارتفعت فوهة مدفعه ، تطلق رصاصات أخرى فى الهواء ، قبل أن يسقط جثة هامدة كالحجر ..

وقبل حتى أن يرتطم بالأرض ، كانت الهليوكوبتر قد بلغت المكان ، هتف قائدها ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ها هو ذا .. إننى أراه فى وضوح يا جنرال .. إنه هنا .. فى البقعة (ش ٧) .. لقد قتل ثلاثة من رجالنا .

لم يكد (بولارد) يتلقى النداء ، حتى صاح برجاله :

ـ هيا .. لقد أوقعنا به ..

أما (أدهم) فقد قفز يمسك يد أحد الرجال ، الذين صرعهم منذ قليل ، وضغط بإصبعه على سبّابته ، ليطلق وابلاً من النيران نحو الهليوكوبتر ، التى صرخ قائدها ، وهو يبتعد بها فى سرعة :

ـ أسرعوا يا جنرال .. أسرعوا .

كان وقع أقدامهم يقترب من موقع (أدهم) بالفعل ، فأسرع هو ينتزع خنجرًا آخر ، من أحد القتلى ، ثم تلفت حوله فى توتر شديد ..

كانت النيران قد خبت أو كادت ، إلا أنها ما زالت تضع حاجزًا يصعب اختراقه ..

ولا وقت لديه لتكرار خدعته ، التى تراجع فيها بظهره ، من جذع الشجرة ، ليوحى إليهم بأنه كان يتجه نحوها ..

ووقع أقدام (بولارد) ورجاله يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وهنا ، قفزت إلى ذهنه وسيلة واحدة ، للخروج من هذا المأزق ..

الشجرة نفسها ..

وبكل قوته ، اندفع نحوها ، وراح يتسلق جذعها فى سرعة ..

كانت خطته تعتمد على تسلق الشجرة حتى قمتها ..

ثم الوثوب منها إلى المنطقة الخارجية ..

وراء خط النيران ..

ولكنه لم يكن قد أكمل تسلقه بعد ، عندما ظهر (بولارد) ورجاله ..

وبكل سخطه وغضبه ، صرخ (بولارد) :

ـ أوقفوه .

تسلق (أدهم) بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

ولكن أحد رجال (بولارد) صوب مدفعه نحو الشجرة ..

وضغط ذراعًا خاصة ، فى طرف مدفعه ..

وانطلق من المدفع صاروخ ..

صاروخ شق طريقه بسرعة البرق ..

ثم أصاب جذع الشجرة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار هز أدغال (كومانا) ..

كلها .

* * *

٩ - المستنقع ..

« لقد رفضنا التعاون مع الإسرائيليين .. »

نطقها السيِّد رئيس الجمهورية فى حزم ، وهو يجلس فى مكتبه الخاص ، فى القصر الجمهورى ، ثم تطلَّع إلى مدير المخابرات مباشرة ، مضيفًا :

- لقد أبلغنا التحالف المشترك بهذا رسميًّا ، وقلنا إننا لا نثق بالإسرائيليين أبدًا ، وخصوصًا فى الأعمال المشتركة ، فبدلاً من أن يتعاونوا مع الجميع ، تجدهم يبذلون قصارى جهدهم ، للاستفادة من الموقف ، وتحقيق أكبر مكاسب ممكنة ، على حساب كل من حولهم ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت النتائج .

غمغم مدير المخابرات ، وهو يومئ برأسه موافقًا :

- هذا صحيح .

تنهَّد الرئيس ، قبل أن يسأله :

- ما أخبار ناقلتنا ؟!

هزَّ مدير المخابرات رأسه ، قائلاً :

- الموقف غامض للغاية يا سيادة الرئيس ، فالناقلة اختفت فى المحيط الأطلنطى ، ولم يتم العثور لها على أدنى أثر ، عن طريق الأسراب الجوية ، التى أرسلتها (المغرب) و (إسبانيا) ، وحتى مع صور الأقمار الصناعية ، حتى إن بعض خبرائنا يتصوَّرون أنه قد تم إغراقها ..

سأله الرئيس فى قلق :

- أهذا محتمل ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

- ليس بنسبة كبيرة ، فحتى عندما يتم إغراق ناقلة بترول ، فمن المستحيل أن تختفى دون أدنى أثر .. ستترك بقعة زيت كبيرة على الأقل .

ثم زفر فى عصبية واضحة ، متابعًا :

- ولكنه ما زال احتمالاً واردًا على أية حال ، باعتبار أن الأثر لم يظهر على السطح بعد .

صمت رئيس الجمهورية بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لابد أن يتم حسم هـذا الأمـر ، بأسرع وسـيلة ممكنـة .. لابد أن تعلم عائلات أفراد الطاقم مصـائر أبنائها .. لا يمكن أن يمضى أمر كهـذا دون خطوات حاسمة قوية ..

أشار مدير المخابرات بسبابته ، وهو يقول :

ـ الأمر غامض للغاية هذه المرة يا سيادة الرئيس ، فمن الواضح أن تلك المنظمة قوية للغاية ، ومتشعبة كالأخطبوط ، فى كل الأنظمة والجبهات ، وإلا ما أمكنها أن تضرب ضرباتها الأولى بهذا العنف ، وتلك الجرأة التى تحسد عليها ، ومن المؤكد أيضًا أنه هناك من يعاونها ، فى مراكز شديدة الحساسية ، فى مختلف الدول ، ولكل هذا لم نمسك طرف خيط واحد ، يمكن أن يقودنا إليها .

ثم شد قامته ، مستطردًا فى حزم :

ـ وصدقنى يا سيدى الرئيس .. لو أننا فعلنا ، فلن نتردد لحظـة واحـدة ، فى إرسـال جيش كامل إلى وكرها ، وسحقه سحقًا ، مهما كلفنا هذا .. لن يمكنك أن تتصور حال الرجال ، عندما علموا بأمر اختطاف

ناقلة البترول المصرية .. لقد تفجر غضبهم ، وعرض كل منهم التطوع للسعى خلف تلك المنظمة ، حتى ولو ذهب إلى آخر الأرض .

قال الرئيس فى صوت قوى :

ـ ليست لدى ذرة واحدة من الشك فى رجالك ، واستعدادهم الدائم للتضحية بكل غال ونفيس ، فى سبيل الوطن ، حتى أرواحهم نفسها .

ثم صمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ والواقع أننى أفكر فى أحدهم بالتحديد .

سأله مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ من يا سيادة الرئيس ؟!

أشار الرئيس إلى أعلى بسبابته ، قائلاً :

ـ ذلك الذى أنقذ قمرنا .

التقى حاجبا المدير ، وهو يغمغم :

ـ آه .. (أدهم) .

أجاب الرئيس :

ـ بالضبط .. (أدهم صبرى) .

زفر مدير المخابرات ، وهز رأسه قليلاً ، قبل أن يجيب فى أسف :

ـ لن يمكننا الاستعانة به يا سيادة الرئيس .

هزّ الرئيس رأسه ، متسائلاً فى قلق :

ـ أهو مصاب إلى هذا الحد ؟!

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

ـ بل هو مفقود يا سيادة الرئيس .

ارتفع حاجبا الرئيس فى دهشة ، ثم عادا ينعقدان فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وماذا فعلتم من أجل هذا ؟!

أجابه مدير المخابرات بنفس السرعة :

ـ فريق كامل من رجالنا يبحث عنه حيث اختفى يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس فى حزم :

ـ هذا أقل ما نفعله من أجله .

ثم نهض مضيفًا :

ـ وسأصدر قرارًا جمهوريًا بمنحه ، أو منح اسمه ، لو أنه قد لقى مصرعه لا قدَّر الله ، وسام الجمهورية ، وسأمنحه أية وظيفة يشاء ، فى الحياة المدنية .

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ إنه يستحق الوسام عن جدارة يا سيادة الرئيس ، ولكن بالنسبة للوظيفة ، فلست أظن (أدهم) يشعر بالارتياح ، فى أية وظيفة مدنية ، فهذه هى الحياة الوحيدة التى يعرفها .. أن يقاتل طوال الوقت ، من أجل وطنه وقضيته ..

قال الرئيس بابتسامة إعجاب :

ـ هكذا الرجال .

غمغم مدير المخابرات :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

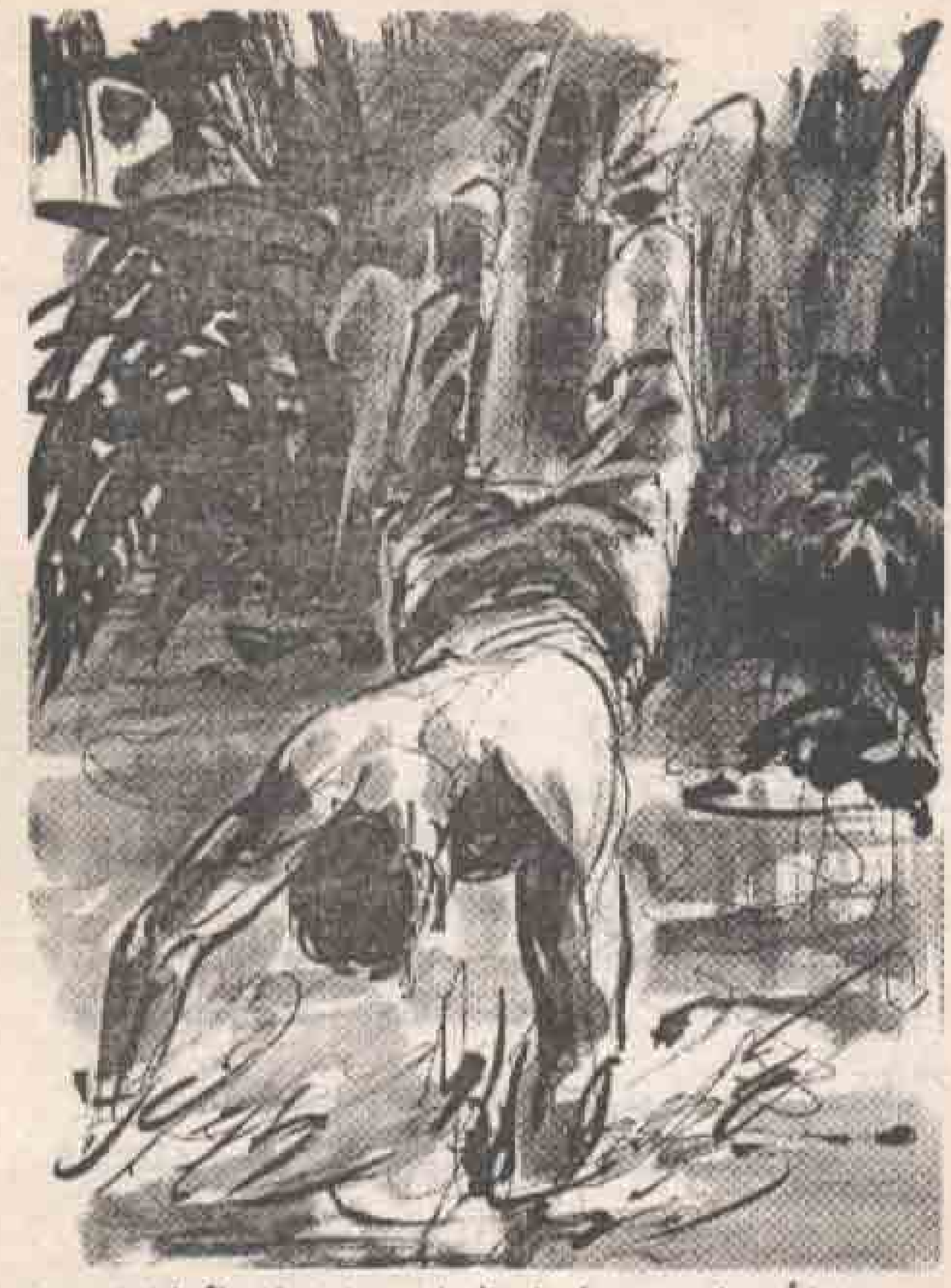
نطقها وعقله يربط بالفعل بين (أدهم صبرى) ، وتلك المنظمة الغامضة الجديدة ..

(أدهم) الذى يمثل العمل كل حياته ..

وموته ..

* * *

كان الانفجار أعنف مما تصوَّر (أدهم) .. بكثير ..



وجد (أدهم) جسده يطير فى الهواء ، ويشعر باختناق شديد ، وهو يقطع ما يزيد على العشرين مترًا فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف ..

والواقع أنه لم يكن يتوقَّع انفجارًا على الإطلاق ..

فعندما سمع هتاف (بولارد) ، تصوَّر أن الرصاصات ستنهال عليه ..

كالمطر ..

لذا ، فقد تسلَّق الشجرة بسرعة أكبر ، و ...

وفجأة دوى الانفجار ..

كان انفجارًا عنيفًا ، حتى إنه أطفأ النيران ، التى تبعد عن الشجرة عشرة أمتار فحسب(*) ..

وبمنتهى العنف ، وجد (أدهم) جسده يطير فى الهواء ، ويشعر باختناق شديد ، وهو يقطع ما يزيد على العشرين مترًا فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف ..

(*) الانفجار يؤدى إلى حدوث موجة تضاغط ، تعقبها حالة تخلخل هواء ، مع نقص شديد فى الأكسجين ، على نحو مباغت ، وهو العامل الأول ، المسئول عن مواصلة اشتعال النيران ، حيث إن الأكسجين لا يشتعل ، ولكنه يساعد على الاشتعال ، ومع غيابه المباغت تنطفئ النيران دفعة واحدة .

ويرتطم بماء بارد آسن ..

ثم يغوص فيه عميقًا ..

أما (بولارد) ورجاله ، فقد أطلقوا صاروخهم ، وتراجعوا ليحتموا من عنف الانفجار ، والشجرة تسقط فى قوة ، ثم اندفعوا يبحثون عن فريستهم بين أغصانها المتشابكة ، التى اشتعلت النيران فى أطرافها .

ولم يكد (بولارد) يتبيَّن عدم وجود جثة (أدهم) هناك ، حتى صاح فى غضب هادر ، وهو يشير بيده شرقًا ، وقد احتقن وجهه فى شدة ، وانتقل الاحتقان إلى صوته :

ـ المستنقع .. لقد دفعه الانفجار إلى المستنقع .

أسرع الجميع إلى المستنقع القريب، وهتف (بولارد):

ـ ارتدوا مناظير الرؤية الليلية مرة أخرى .. إنه فى مكان ما هاهنا حتمًا .

تحرَّكت فوهات مدافعهم مع عيونهم ، على سطح المستنقع ، بحثًا عن أى أثر لـ (أدهم) ؟

ولكن كل شىء بدا هادئًا ..

ساكنًا ..

صامتًا ..

تمامًا كالموت ..

ولكن سفاح الصرب لم يرض بهذا ..

ولم يكن من الممكن أن يقتنع به قط ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يتراجع ، مكتفيًا بمجرَّد فكرة ، توحى بأن فريسته قد قضت نحبها ، وسط ذلك المستنقع الرهيب ..

صحيح أنه يدرك جيِّدًا أن المستنقع يموج بالثعابين الضخمة ، والتماسيح الرهيبة ، التى لن تبقى على كائن حى واحد ..

أيًا كان ..

ولكن كان من المستحيل أن يقتنع بهذا أيضًا ..

لقد اختبر قوة وخطورة (أدهم) بنفسه ..

وأدرك ما أدركته (سونيا جراهام) ، منذ سنوات عديدة ..

فالوسيلة الوحيدة ، للتأكُّد من مصرع رجل مثل (أدهم صبرى) ، هو أن ترى جثته بنفسك ..

وهو لم يرها بعد ..

بل حتى لم يلمحها ..

لذا فقد أشار إلى رجاله ، ثم رفع فوهة مدفعه .. وأطلق النار ..

ومع انطلاق رصاصاته ، حذا رجاله حذوه ..

وراحت عشرات من الرصاصات تنهمر على المستنقع ..

وردّدت أدغال (كوماتا) دويًا مخيفًا ..

رهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

ولثلاث دقائق كاملة ..

وأخيرًا ، خفض (بولارد) مدفعه ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يراقب سطح المستنقع ، قبل أن يهتف :

- أحضروا الزورق .

لم يعترض أحد الرجال على أوامره ، وأسرع بعضهم

إلى منطقة كثيفة الأشجار والأغصان، وراحوا يزيحون تلك الأغصان ، فبدا من تحتها زورق مستنقعات كبير(*)، دفعوه نحو المستنقع ، فأشار (بولارد) بيده ، قائلاً فى صرامة :

- فليبق ثلاثة منكم هنا ، وليصحبنى الباقون .

نفّذ الرجال أوامره ، فاتخذ هو مقعد القيادة ، وهو يقول :

- هذه المرحلة تختلف عن المرحلة السابقة .. ربما نكون قد قتلنا ذلك المصرى بالفعل .. وربما لا .. ولكنن سنفحص المستنقع كله .. والطبيعة ستعمل لحسابنا هذه المرة ، فلو أنه يجيد مواجهة البشر ، فلن يمكنه مواجهة كل مخلوقات ووحوش المستنقعات ..

(*) زورق المستنقعات : هو زورق خاص ، معدّ بحيث يمكنه الانطلاق فى مجارى مائية آسنة ، تمتلئ بالعشب والمرتفعات العشوائية ، وهو عبارة عن قاعدة مسطحة كبيرة ، تديرها مروحة ضخمة ، مع محرك آلى قوى .

وعضّ شفتيه ، وكأنما لم تنجح كلماته فى إقناعه هو نفسه ..

دون أن يدرى لماذا ؟!

إنه على حق فى كل ما نطق به ..

الطبيعة ستعمل بالفعل لصالحهم ..

هذا لو أن الخصم ما زال على قيد الحياة ..

وبإشارة أخيرة من يده ، انطلق بالزورق يشق المستنقعات ..

ويبحث عن فريسته ..

بشراسة مخيفة ..

ووحشية تفوق وحوش الأدغال أنفسهم ..

وبعد أن ابتعد الزورق ، عاد سطح المستنقع إلى هدوئه ، و ...

وفجأة ، تموّج السطح فى قوة ..

ثم برز منه رأس رجل ..

رجل يُدعى (أدهم صبرى) ..

وبكل قوته ، التقط شهيقًا طويلاً ؛ ليملأ صدره

بالهواء ، بعد أن كاد يختنق طويلاً ، تحت سطح المستنقع ، والرصاصات تغوص فى كل مكان حوله ..

وفى حذر زائد ، ألقى نظرة على الرجال الثلاثة ، الذين بدوا من بعيد ، وهم يتحركون على حافة المستنقع ، فى تحفز كامل ، وغمغم :

- من الواقع أنه لن يمكنك العودة إلى اليابسة ، فى الوقت الحالى على الأقل يا (أدهم) .

ثم تلفّت حوله ، مستطردًا :

- وأنت لا تدرى إلى أين يمكن أن يقودك هذا .

كان قد سبح لمسافة طويلة ، تحت المياه الآسنة ، حتى صار بعيدًا عن اليابسة ، على نحو لا يسمح للرجال الثلاثة فوقها من ملاحظته ..

وبعيدًا عن الزورق ، الذى يتوغّل أكثر وأكثر ، فى قلب المستنقع ..

وهو يجهل تمامًا أين الطرف الآخر لليابسة ..

وكم يستغرق الوصول إليه ..

ثم إن الماء كان باردًا ..

إلى حد مخيف ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد غمغم فى هدوء عجيب :

ـ هيا يا (أدهم) .. توكل على اللّه (سبحانه وتعالى) ، ولن يخذلك أبدًا ..

وفى هدوء ، راح يسبح عبر المستنقع ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، و ...

وفجأ ، التف جسم ناعم سميك حول ساقه اليسرى ..

ثم جذبه إلى أسفل فى عنف ..

وفى اللحظة التى غاص فيها ، إلى أعماق المياه الباردة الآسنة ، لم يكن (أدهم صبرى) بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، ليدرك ما هية خصمه ..

كان ثعبانًا ضخمًا ، من ثعابين المستنقعات ..

ثعبان اعتاد جذب فريسته إلى القاع ، والالتفاف حولها ، لتحطيم جسدها ، قبل أن يبتلعها كاملة ...

لقد كان (بولارد) على حق تمامًا ..

الطبيعة تعمل لحسابهم بالفعل ..

بمنتهى العنف ..

والوحشية .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد اللّه

ويليه الجزء الثالث بإذن اللّه

(القواصنة)